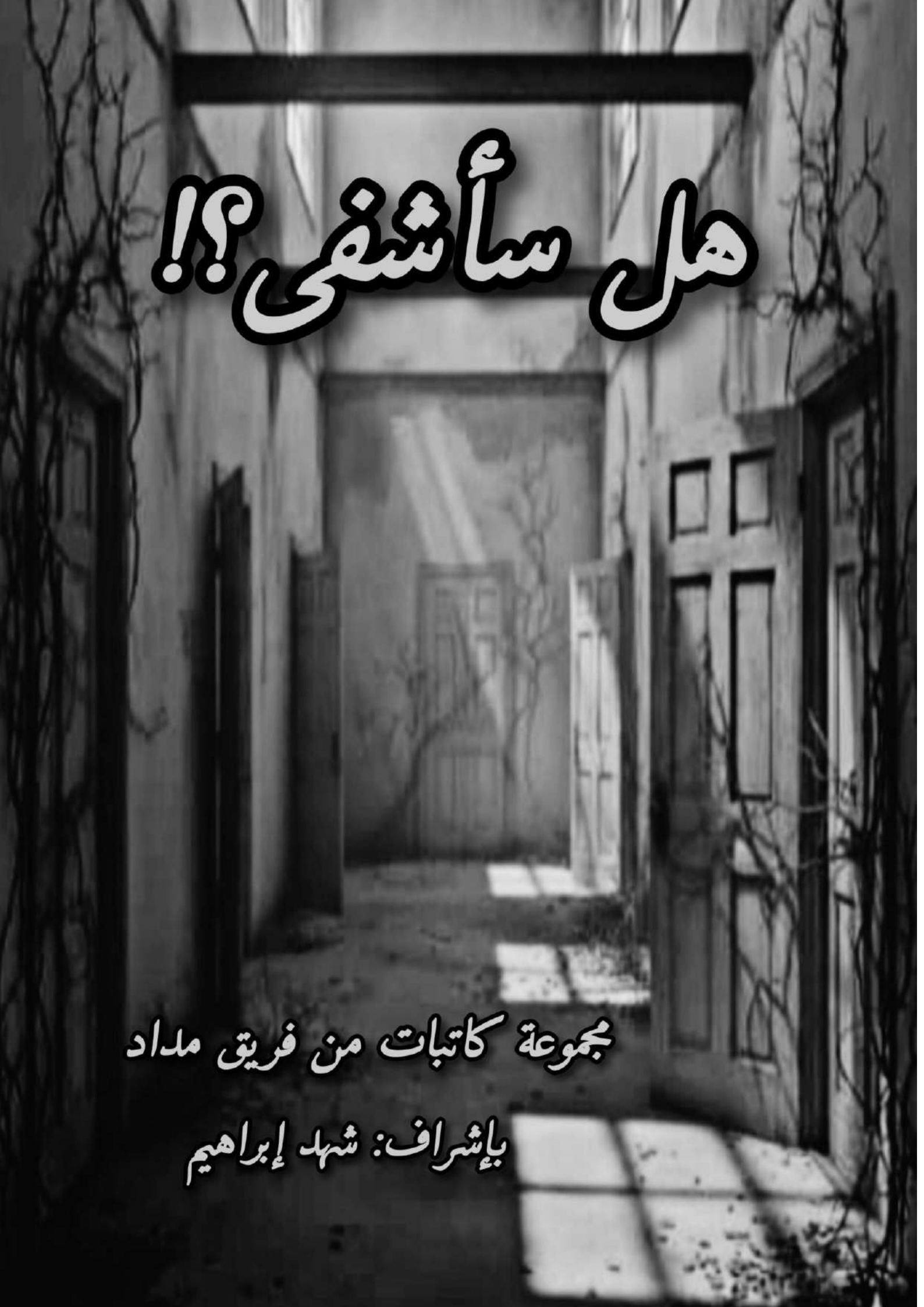

مجموعة كاتبات من فريق مداد

بإشراف: شهد إبراهيم

هل سأشفى؟!

مجموعة كاتبات من فريق مداد للتنمية والكتابة

بإشراف: شهد إبراهيم

مقدمة :

في زوايا لا نراها من هذا العالم، يعيش أناسٌ بيننا، يحملون في صدورهم صراعات لا تُرى، ويخوضون معارك صامتة لا يسمعها أحد. هذا الكتاب ليس عن الجنون، بل عن الإنسانية حين تتصدّع، عن الألم حين لا يجد مخرجًا سوى الصمت، وعن العقول التي أرهقها العالم حتى لجأت إلى جدران مستشفى الطب النفسي طلبًا للنجاة.

الأربعاء الأول من أيلول

الكاتبة: تقى الكردي

اليوم الأربعاء الأول من أيلول

في أحد بيوت دمشق القديمة

استيقظ أمير كعادته يتأمل سقف غرفته التي تآكلت من الرطوبة. قام من فراشه منهكًا كعادته، ينظر يمينه ويساره خائفًا من المجهول. ذهب يغسل وجهه الشاحب، نظر للمرآة بأسى يتساءل: لماذا هذا كله حدث خلال فترة قصيرة؟

تذكر ماذا حدث له كعادته:

طفلًا صغيرًا يركض بفرح بطريق رجوعه إلى المنزل بعد انصرافه من المدرسة، وينتظر رؤية والديه ليقبّلا وجنتيه بكل حب. يركض مسرعًا ليصل إلى المنزل، وعند وصوله يرى أناسًا متجمعين أمام منزله والدخان يتصاعد. ركض مسرعًا خائفًا، دخل بين الناس، ولكن شيئًا ما جعله يتوقف متجمدًا ينظر إلى منزله الذي أكلته النيران. حاول الدخول لكن قدميه لم تعد تحملانه، فضرع يبكي ويصرخ: أمي! أبي! أمي! أبي!

صحي من ذاكرته على صوت جدته: هل أنت بخير يا ولدي؟ لقد حضرت لك الفطور، هيا تعال.

أمير: نعم، بخير، سآتي حالًا.

مضى على الحادثة عشرون عامًا، وأمير ما زال ذلك المشهد يتردد في ذاكرته.

كيف ينسى حرقة قلبه على والديه؟

ذهب وجلس أمام جدته، لاحظت الجدة الشحوب على وجهه، كل يوم يزداد أكثر وأكثر. أصبحت هالاته السوداء كأنها ليلٌ انطبع تحت عينيه. نظرت له بأسى شديد وقالت: ألم تصبح بخير بعد؟

رد عليها أمير بنظرة شاردة ولم يتكلم شيئًا، بقي شارداً باللاشيء.

وكما يفعل في عادته، يذهب ويجلس أمام النافذة ويدخن سيجارته بشرود شديد.

لكن شيئًا ما لفت انتباهه.

نظر بتركيز أكثر، فرأى كأن نقطة بيضاء أمامه كانت صغيرة وبعيدة، وبدأت تكبر وتقترب شيئًا فشيئًا نحوه.

ارتعب وحاول الرجوع للخلف.

لم يلحق، وإذا بتلك النقطة تتحول الى ثقب كبير ويبتلعه كالإعصار.

أُغمي على أمير من الرهبة، مضى يومٌ كامل وهو مرمي على أرض رملية.

استيقظ مصدومًا ومندهشًا وخائفًا، بأن واحد، وأسئلة كثيرة تدور في رأسه: أين أنا؟ وكيف وصلت إلى هنا؟ وماذا حدث؟ أين جدتي؟

لم يجد تفسيرًا لأي شيء.

نهض ينفض ثيابه من الغبار، وبدأ السير لوجهة غير معروفة، لا يعرف إلى أين يذهب ولأي جهة.

يمشي ويتلفت أمامه وخلفه وعلى جانبيه.

وجد شيئًا من بعيد، حاول رؤيته بوضوح.

وجد امرأة بعيدة مرمية على الأرض.

ركض باتجاهها، وجدها مغمى عليها.

بدأ بتصحيحها قائلًا: مرحبًا، مرحبًا، هل تسمعينني؟ أعاد تكرار السؤال، وبعدها بدأ يربّت على وجنتيها إلى أن استيقظت.

فاقت من غيبوبتها بدهشة ورعب، قائلة: من أنت؟ وأين أنا؟ وماذا حدث؟

نظر لها أمير نظرة مطولة، ودهش من جمالها.

عيناها السوداوان الواسعتان، وشعرها الأسود الطويل، وسمارها... كان جمالها الجمال العربي الأصيل، رغم أن الشحوب وعلامات الإرهاق واضحة على وجهها، إلا أن جمالها كان كافيًا بأن يخطف القلوب.

بقي أمير ينظر لها بإعجاب شديد، وقلبه لأول مرة يشعر بنبضاته.

أيقظته من شروده تلك الغزالة العربية، قائلة: من أنت؟ وأين أنا؟

رد عليها أمير: اسمي أمير، لا أدري أين نحن، لقد وجدت نفسي مرميًا على الأرض مثلك.

بقيت الفتاة صامتة ولم تتكلم.

قال لها: هل أساعدكِ بشيء؟

قالت: لا، شكرًا.

وحلّ الصمت بينهما لفترة.

بعدها سمعا صوت طبول من بعيد وأصوات أناس.

قال أمير بدهشة وهو يقوم من جلسته: هل تسمعين ما أسمع؟

قالت: نعم، نعم.

قال أمير: هل نذهب لنرى ماذا يحدث ونكتشف أين نحن؟

ردت: هيا بنا.

ذهبا، وكان حاجز الصمت بينهما.

حاول أمير كسر ذلك الحاجز، قائلًا: لم أعلم ما اسمك؟

قالت بصوت منخفض: ريم.

ابتسم أمير، ونبضات قلبه تتضارب.

أثر في نفسه: سبحان من سواكِ، حقًا تشبهين الريم.

فاق من شروده وابتسم في وجهها وقال: لائق عليكِ اسمك، حقًا.

نظرت ريم له وابتسمت، وعاد الصمت بينهما.

تابعا مسيرهما بصمت تام، يلحقان صوت الطبول.

وصلا لمدينة خيالية جميلة وواسعة، مزينة بالأضواء الملونة، وعلى جدرانها رسومات خيالية.

نظر أمير لوجه ريم وابتسم بحماس، لأول مرة بعد فقدانه لوالديه، وبادلته تلك الابتسامة ريم.

تابعا مسيرهما، توقفا فجأة بعد أن رأيا أناسًا غرباء، أشكالهم غريبة، يلبسون ثيابًا ملونة ومضيئة.

انصدما من ذلك المشهد.

اقترب منهم أحد من تلك المنطقة بحماس، وقال: أهلاً بكما في مدينتنا، مدينة الخيال.

المدينة تختار من هم في مدينتهم مدمرين، فوجودكما وحالتكما النفسية يُرثى لها.

نظرت ريم بشرود تام، وتذكرت ما حدث لها في حياتها:

والد ريم: صباحكِ يا بنتي.

ريم: صباح الخير يا أبي.

والد ريم: أريد التكلم معكِ حول موضوع.

ريم: بالتأكيد يا أبي، تفضل.

والد ريم: جاء ابن عمكِ اليوم طالبًا يدكِ بالحلال، وأنا أعطيته الموافقة. انصدمت ريم من كلام والدها، كيف لفتاة عمرها ١٧ عامًا أن تتزوج، وأن تترك دراستها وتُسأل عن منزل وعائلة؟

والد ريم: أتسمعينني؟

ريم: نعم، لكنني لا أريد الزواج الآن.

نظر الأب لها نظرة قاسية، وقال بحزم شديد: كلمتي هنا التي ستُسمع، الخطبة يوم الجمعة.

انصدمت ريم من قسوة والدها، ولم تقل له شيئًا.

أتى يوم الجمعة، وكانت خطبة.

ريم جالسة تبكي، كيف لأحلامها أن تذهب هكذا؟ حلمها أن تصبح طبيبة... ذهب.

حضرت الحفلة ودموعها تحرق خديها.

مرّ ٣ أشهر على الخطبة، وتحدد موعد العرس، وريم كل يوم تتمنى الموت.

صار يوم العرس، وذهبت مع زوجها إلى الجحيم.

كان زوجها قاسيًا جدًا، يضربها دون رحمة.

بعد مضي سنتين، حملت ريم بطفلها، وبأثر ضربات زوجها، ذهب الجنين من بطنها، وأسقطت حملها.

وهنا قررت الرحيل، لا تدري إلى أين، لكنها قالت في نفسها: لو عشت بخيمة أرحم لي من ذاك العذاب.

وأخذت كم قطعة من ملابسها، وفي يوم رحيل زوجها إلى العمل، هربت من المنزل، لا تدري إلى أين.

فتاة في عمر ١٩، مشردة، تمشي دون وجهة.

إلى أن وجدت خرابة، فقررت أن تسكن بها.

وفي يوم، كعادتها بعد الفطور، جلست أمام النافذة، فرأت نقطة بيضاء بعيدة، فاقتربت منها بسرعة وقوة، وأخذتها لهذا العالم الغريب.

استفاقت ريم من شرودها، وتابع الرجل كلامه:

هذه المدينة تعيد للناس حياتهم التي فقدوها.

وإذا رغبتما، يمكنني اصطحابكما لاكتشافها.

نظر أمير بحماس، قائلًا: نعم، يسرنا ذلك.

ضحكت ريم بخجل على حماس أمير المفاجئ.

نظر أمير لها، قائلًا: تضحكين عليّ؟

خجلت ريم، وقالت: لا، لا، تذكرت موقفًا لا أكثر.

نظر أمير لها، وقال: ما رأيكِ أيتها الآنسة أن نكتشف تلك المدينة سويًا؟

ردت ريم بمرح: بالتأكيد، هيا بنا.

رافقهما ذاك الرجل، وبدأ يعرفهما عن المكان.

وجدا نافورة ماء جميلة وملونة كبيرة في منتصف تلك المدينة.

قال الرجل: هل أخبركما سرًا؟

رد أمير: بالتأكيد.

الرجل: عندما تقتربان من تلك النافورة وتقولان لها أمنياتكما، ستحققها مهما كانت مستحيلة.

أمير: حقًا؟ كيف؟

الرجل بابتسامة: تلك مدينة الأمنيات.

اقترب أمير وتمنى لو لم يحدث ذاك اليوم ما حدث.

واقتربت ريم وتمنت لو أن أباها لم يجبرها على ذلك الزواج الفاشل.

فجأة وبدون سابق إنذار، أصبحت النافورة تنبع وتنبع حتى أصبحت تهطل كالمطر الغزير عليهما.

أغمضا عيناهما فجأة...

رأى أمير والديه يركضان عليه ويضمانه.

ورأت ريم أباها جاء لها قائلًا: لقد رفضت ابن عمك، فلن أجبرك على شيء لا ترضينه.

ضحك أمير ضحكة عالية، وريم رقصت من الفرح، والرجل الغريب واقف من بعيد يبتسم لهما، كيف جبر خاطرهما.

أمير، دون سابق إنذار، التفت لوالد ريم: عمي، أريدك بطلب.

والد ريم: تفضل يا بني.

أمير: أنا طالب يد ابنتك على سنة الله ورسوله.

نظر والد ريم إلى ريم، وانتظر منها جوابًا.

نظرت لوالدها نظرة موافقة دون أن تتكلم. ابتسم والد ريم: على بركة الله.

ضم أمير حبيبته، والتي ستصبح شريكته في المستقبل.

أتوا أصحاب الطبول والناس الغريبين، يرقصون ويدقون الطبول والآلات الموسيقية، ويزفون ريم لأمير بكل حب وفرح.

جدة أمير، بصوتٍ مرتجف، نادت:

– أمير... أمير!

فتح أمير عينيه ببطء، كأنما يُنتزع من عالم آخر. نظر حوله، مرتبكًا، وقال:

– أين أنا؟

– في المنزل، يا ولدي... لقد غفوت أمام النافذة.

تلفّت أمير، يبحث بعينيه عن شيء لا يُرى، ثم همس:

– أين ريم؟ وأين أبي وأمي؟

نظرت إليه جدته بدهشة، وقالت:

– من ريم؟ وابويك!!

كل ما رأيته كان غفوة... مجرد حلم، حلم جميل، لكنه انتهى.

سكت أمير، وعيناه تسبحان في الفراغ.

كان الحلم أكثر حياة من الواقع، أكثر دفئًا من كل ما عرفه.

لكنه الآن... عاد إلى حياته اليائسة، وهذه المرة بخسارة ريم أيضًا.

جلس أمام النافذة من جديد، لكن لم يكن فيها تلك النقطة البيضاء ، ولا مدينة الاحلام، ولا تلك النافورة .

كان فيها فقط... انعكاس وجهه الشاحب، ونافذة تطل على صمتٍ لا ينكسر.

حين تتكلم الأرواح

الكاتبة: زهراء الشيخ

في مساءٍ رماديّ تتدلّى فيه الغيوم كستائرٍ سميكة، جلس رجلٌ مجهول الاسم عند حافة نافذةٍ قديمة. لم يكن في صوته شيءٌ من هذا العالم حين بدأ يتكلم، فقد خرجت من فمه أصواتٌ لا تشبه أي لغةٍ سُمعَت من قبل. حروفٌ تتشابك كأنها شرارات من عصورٍ منسيّة، ومقاطع تتنفس مثل كائناتٍ عابرة بين الظلال. لم تكن موسيقى، ولا نغمة صلاة، بل شيءٌ ثالث، شيءٌ يقطر من مسافةٍ أقدم من الذاكرة

اقترب منه الناس بخوفٍ وفضول. كان يصرّ بعينين متّقدتين أن ما ينطق به ليس من اختراعه، بل هو رسائل الأرواح. يقول إنهم اختاروه ليكون جسراً وإن العالم قد فقد قدرته على الإصغاء، فأصبحت الأرواح تبحث عن منافذ جديدة. يحدّثهم عن زمنٍ ما قبل الأسماء، حين كان لكل حجر ونسمة ودفق ماء إيقاعٌ خاص، قبل أن تُسجن الأصوات في قوالب اللغات

في كل مقطعٍ يلفظه، يشعر المستمعون بارتجاجٍ خفيّ في أعماقهم، كأن الصوت يحرك خيوطًا منسية في أرواحهم. بعضهم شعر بحنينٍ بلا سبب، آخرون ببكاءٍ غامض، كأن تلك اللغة تخاطب ما لا نعرف أننا نحمله. أحد الشيوخ قال إن الأحرف التي سمعها تشبه رنين الكواكب في حركتها، بينما وصفتها فتاة بأنها تشبه لغة الأحلام التي تتلاشى عند الصحو

المدينة، التي لطالما ضجّت بلغات كثيرة، وقفت حائرة أمام هذا الرجل. علماء الأصوات فشلوا في تصنيف النطق؛ لا جذور له في أي نظام معروف. علماء النفس افترضوا أنه وهمٌ أو حالة ذهنية نادرة. لكنه لم يطلب تصديقًا ولا شهرة. كان يخرج إلى الساحات، يتحدث ثم يصمت، وكأنه يترك للهواء مهمة حمل تلك الرسائل إلى حيث يجب أن تصل.

مع مرور الأيام بدأت الأسئلة تتكاثر: هل اللغة أداة للتواصل فقط أم أنها مرآة لشيء أعمق لاهتزاز الكون ذاته؟

هل نحن من يصنع اللغة

أم أن اللغة هي التي تصنع وعينا وتختار متى تكشف سرّها؟

أولئك الذين أصغوا طويلاً لاحظوا أن ما يقوله الرجل لا يترجم بل يحس كأن المعنى يسري عبر مساراتٍ غير عقلانية مجرد اهتزازات تمسّ الروح مباشرة، قبل أن تفكر الكلمات

ربما، كما يهمس البعض لا يريد العالم أن تُفكّ رموز هذه اللغة ربما هي تذكيرٌ بأن خلف كل أبجديةٍ معروفة هناك طبقة أعمق من الحقيقة تتكلمنا نحن، لا نحن نتكلمها وربما في تلك اللحظة التي نتوقف فيها عن البحث عن معنى محدّد نقترب أكثر من فهم الرسالة

التي تحاول الأرواح إيصالها: أن اللغة الحقيقية ليست ما نقرأه أو نكتبه بل ما يهزّ أعماقنا حتى الصمت

وجهة نظر الرجل: الطريق إلى المصح العقلي

لم أكن أظن أن الكلمات ستجرّني إلى هذا المكان إلى جدران بيضاء تلمع كالعتمة كنت أعتقد أن ما أحمله هو هدية نافذة على ما وراء

لكن العالم لا يحب النوافذ المفتوحة يحب الأبواب المقفلة بالمفاتيح الصحيحة.

بدأ الأمر ذات فجرٍ بارد استيقظت على أصواتٍ تتساقط في رأسي كالمطر أصوات بلا مصدر لكن فيها دفءٌ عجيب لم تكن أوهاماً كانت أوضح من أي لغة أعرفها: حروف تتراقص نغمات لا تقبل الترجمة شعرت بأنني لست وحيداً بأن الكون يحاول أن يكلمني بعد سنوات من الصمت في البداية كنت أكتب تلك المقاطع على أوراقٍ صغيرة أخفيها في جيبي أقرأها لنفسي وكأنني أحرس سرّاً مقدّساً

لكن شيئاً في قلبي كان يطلب الإفصاح أصبحت أتحدث بها علناً في الحديقة في السوق رأيت الدهشة في العيون: بعضهم ينصت وبعضهم يبتسم بسخرية

وبعضهم يرتجف كما لو لمس ما لا يُلمس كنت أظن أن الدهشة بداية الفهم لكنني كنت مخطئاً

في تلك الليلة عندما جاء رجال بملابس رمادية لم أقاوم كانوا يكررون اسمي العادي

اسمي الذي أصبح غريباً عليّ

قالوا إنني بحاجة إلى راحة.

...كيف يشرحون للنجوم أنّني كنتُ فقط أجيب نداءها؟

أجلسوني في عربةٍ ضيّقة لها رائحة معدنية تشبه الليل بعد المطر.

كانت أضواء الشوارع تمرّ كسكاكين من ذهب فوق وجهي، وكل ومضةٍ منها تنطق بلغتي،

كأن المدينة نفسها تحاول أن تخبرني أنني لست مخطئاً لكن أحداً لم يسمع سوى همساتي.

في المصح العقلي.

الغرف بيضاء إلى حدٍّ يوجع العين والهواء مشبع بصوت الأقفال يسألونني عن اسمي ، عن تاريخي، عن الأصوات أجيبهم بما أعرف: أن اللغة التي أتكلمها ليست من اختراعي، أنها تهتزّ في صدري مثل قلبٍ أوسع من هذا الجسد. يدوّنون ملاحظاتهم ويهزون رؤوسهم.

أعطوني حبوبًا ملساء كي "أهدأ". ابتسمتُ؛ كيف يهدأ مَن أصبح قناةً لشيءٍ أكبر من النوم؟

في الليل، حين يعتقدون أنني غارق في السكينة، أسمع الأرواح تعود تهمس لي بأصواتٍ أعمق، تخبرني أن الجدران ليست سجناً، بل صدى وأن ما يسميه الناس "جنونًا" هو الباب الذي يخفونه عن أنفسهم.

هُنا، بين هذه الجدران، أدركت أنّ المصح ليس نهاية الحكاية.

يظنون أنهم أوقفوا لغتي، لكنني أسمعها الآن أوضح من أي وقت

لست مريضًا. أنا فقط أحمل رسالة لا يريد العالم أن يصغي إليها بعد.

في تلك الليلة الأخيرة من شهرٍ بلا اسم، جلس الرجل عند النافذة الضيقة في المصح. كان القمر يتدلّى كحرفٍ وحيدٍ في سماءٍ صامتة. لم يعد يحاول إقناع أحد، ولم يعد يخشى صمت الآخرين. أغلق عينيه، وترك اللغة التي لا يعرفها أحد تتصاعد من صدره ببطء، مثل تنفّس الكون نفسه.

لم يكن ينتظر فهماً أو تصديقاً. أدرك أن الرسالة لم تكن جملةً ليُفكّ شفرتها أحد،

بل ارتعاشةٌ تذكّر بأن ما هو أعمق من الكلام يبقى حيًّا، حتى لو حُبس في جدران بيضاء.

وحين تلاشى صوته في العتمة، بدا المكان لحظةً قصيرة وكأنّه يستمع كأن المصح، بكل أقفاله وأسلاكه، انحنى سرًّا ليصغي إلى اللغة التي لا يعرفها أحد.

رغم الجدران البيضاء، بقيَّ صوتهُ يهمس في العتمة؛ لغةٌ لا يفهمها أحد لكنها تذكيرٌ بأن الروح أوسع من أي سجن.

انفصام

الكاتبة: نغم راجح

صوت رنين المنبه يصدح في الأرجاء، استيقظت شذى بتثاقل شديد فهي لم تنم جيداً ليلة أمس، أطفأت الرنين ورفعت الغطاء فوقها مجدداً، ولكن، لا هناء في النوم أبداً، أيقظها رنين اتصال من أحدهم، رفعت الغطاء بتذمر وألقت نظرة على هاتفها، كانت صديقتها ليلى فأجابت..

- مرحبا شذى

- أهلا ليلى

- ما زلت نائمة!! الساعة الآن السادسة مساءً استيقظي بسرعة سنتأخر عن الحفل.

شذى بعدم فهم: - أيُّ حفل؟

- هيا كفي عن التظاهر بالغباء، حفل الخفة ذاك.

- اا تذكرت، حسناً، حسناً أنا قادمة.

نهضت شذى من سريرها وهي تتمتم: "يا إلهي غفوت طيلة النهار، من المؤكد أن مصطفى قلقٌ عليّ الآن، سأتصل به في الطريق."

ارتدت ملابسها على عجل وانطلقت في طريقها نحو منزل ليلى، وأثناء ذلك اتصلت بمصطفى وأخبرته أنها في طريقها إلى حفل الخفة واتفقا على اللقاء هناك رفقة ليلى.

اجتمع الثلاثة في الحفل، وكانت الأجواء غريبةً إلى حدٍّ ما، لون القاعة يتماوج بين الأحمر والأسود، والأضواء خافتة، كما لو كنت في منزل رعب، المكان يعجُّ بالأشخاص الذي يرغبون برؤية ذلك الساحر وهو يقوم بألعاب خفةٍ أمامهم.

انقشعت ستارة المسرح وخرج رجل يرتدي ثياباً سوداء ويضع كحلاً أسوداً في عينيه، وعلى جيب قميصه ساعة، أو ربما بوصلة لم تستطع شذى تمييز الأمر بدقة.

انطفئت الأنوار وبدأ الساحر الحديث:

"أهلاً وألف أهلاً بكم، أنرتم قلبي في عرض اليوم، عرضنا اليوم ليس عرضاً عادياً، ستشهدون بأم أعينكم لحظات مبهرة بل لنقل أنَّها مرعبةٌ قليلاً، اليوم ستدخلون عالم السحر ، ستلمسونه بأيديكم، ويا لحظكم السعيد إن وقع اختيار بوصلتي على أحدكم ليلمس تفاصيل هذا العالم بأنامله، أهلاً بكم مجدداً ودعونا نبدأ رحلة السحر خاصتنا"

صدح صوت التصفيق عالياً، الجميع تعلو وجهه ملامح الحماسة، بدأ الساحر ألعاب الخفة المعتادة في عروض كهذه على مر العصور، وفي كل مرة يختار شخصاً من الحضور ليلعب معه، التصفيق لا يتوقف، وأصوات الدهشة والضحك لا تنقطع، وفجأة تحول الضوء إلى اللون الأحمر، بدا كما لو كانت الجدران قد طليت بالدماء فعكست ذلك اللون الخانق، وطغى الرعب على أجواء الحفل، تغيرت نبرة الساحر لتحمل مزيداً من الرعب وقال:

"الآن وصلنا إلى فقرتنا الأساسية، حيث الرعب والجنون، هذه المرة ستختار بوصلتي وليس أنا، شخصاً لنلعب سويّاً"

سحب تلك البوصلة المعلقة على جيبه، فتحها ونظر، ثم قال: "حسناً لنرى من سيقع عليه الاختيار"

أغمض عينيه وراح يتمتم بكلمات غير مفهومة، وثقل الأجواء من حوله يزداد، ثم فتحهم، وأشار بإصبعه نحو شذى، وقال: "الآنسة هناك، على ما أعتقد اسمكِ شذى، تفضلي يا شذى"

وقفت شذى غير مصدقة، كيف عرف اسمها أصلاً، ومشت بخطواتٍ بطيئة نحو المسرح، يجول في خاطرها "ترى من هذا الرجل بحق". لكنّها أبعدت تلك الأفكار بسرعة وقررت أن تستمع بالحفل.

جلست على كرسيّ، وجلس الساحر على كرسيّ يقابله، رفع بوصلته وبدأ خدعة التنويم المغناطيسي المعتادة، لوح بالبوصلة أمام وجه شذى حتى غفت عيناها، وبدأ يسألها اسئلة عادية وتجيبه دون إدراك..

- ما اسمك؟
- شذى حسن.
- مع من أتيتِ اليوم؟
- ليلى ومصطفى.
- من هؤلاء؟
- صديقتي وحبيبي.
- أخبرينا بشيء عنكِ؟
- لا زلت أخاف الظلام.

وعلى غرار تلك الأسئلة، بعض إجاباتها أضحك الحضور، فعادت أجواء الحفل إلى سابقها، لكن في التلويحة الأخيرة، وقبل أن تستيقظ شذى من التنويم، همس شيئاً ما في أذنها وابتسم بخبث..

انتهى الحفل، وعاد كلٌّ منهم إلى منزله..

لكن،

تلك الليلة لم تكن يسيرةً على شذى.

وقفت تسرح شعرها أمام المرآة، أغمضت عينيها وتركت قصة حبّها مع مصطفى تتسرب إلى مخيلتها، أيامهما الأولى في الجامعة، الاعتراف الأول، ولحظات الفرح التي عاشاها معاً، وراحت تدندن بأغنية محبّبة إلى قلبها تدمج العربية بالأجنبية:

"خطفوني عينيه خطفوني..

I'm like a movie

His eyes will never leave me

I need attention

But your too precious

I should leave you, but I find it hard to go

خطفوني عينيه خطفوني "

فتحت عينيها وحرَّكت يديها، لكن الغريب أنَّ انعكاسها لم يكن يتحرك، لا يقلد أيّ حركةٍ مما تفعله، ذعرت وحاولت الابتعاد عن المرآة، لكنه لم يبتعد أيضاً، بل تحدث..

" لا تهربي يا شذى، لا تهربي، أنا أنتِ الأخرى"

اقتربت شذى من المرآة بحذر، فابتسم الانعكاس، وقال: "اقتربي، لنتحدث"

اقتربت أكثر، لكنه لم ينطق بأيّ حرف، بس جحظت عيناه بشدّة، تسمَّرت في مكانها خمس دقائق، ثم حملت سكيناً وخرجت من المنزل، تكرر الأمر مراراً وتكراراً، وشاعت الصحائف أخباراً عن قاتلٍ متسلسلٍ جديد، يقتل ضحاياه بأسلوب مرعب، ويترك رسالةً مكان كلّ ضحية: "سيقتلهم ما لم أقتل".

انقضت الأيام مسرعة وشذى تضعف وتمرض دونما سبب واضح، يومٌ تلو الآخر، تدهورت حالة شذى، كانت تستشعر شيئاً سلبياً في ذلك الحفل، أخبرت ليلى ومصطفى عنه فاستنكرا وأكدا أنهم لم يذهبوا إلى أيّ مكان في ذلك اليوم وأخبروها أنّها تتوهم ذلك وربما احتاجت طبيباً نفسيّاً، حتّى مصطفى حبيبها كانت نظراته توحي بالشفقة على حالها كأنها تقول جنَّت شذى، لكنّها لم تخبرهم عن الانعكاس ذاك لأنّ لعنته حلّت عليها فهي تستيقظ وقد انمسح كل شيء من ذاكرتها عدا مشاعرها السلبية.

رفضت شذى زيارة الطبيب قائلة:

"مهلاً أنا لست مجنونة ما بكم؟ توقفوا عن هذا الهراء"

لكنّ نظرات الشفقة وتلميحات الجنون لم تكن تبتعد عنها قط.

وكلّ يوم تسوء حالتها أكثر فأكثر، ينحل جسدها، ويمتلئ وجهها بالهالات السوداء، وتظهر في بعض الأحيان كدمات زرقاء على جسدها، دون أن تدرك سبباً لذلك..

وفي ذات يوم، تعرضت شذى لحادث سيارة نُقلت على إثره إلى المشفى، وهناك راحت تهذي بأشياء غير مفهومة عن حفلٍ وساحر وأوامر غريبة بالقتل المتعمد، وتصرفات غريبة بدت كما لو أنَّ قوتها ازدادت أضعافاً، ربما كان عقلها الباطني هو من يتحدث لا عقلها الواعي، فتم تحويلها إلى المصحة النفسية للتأكد من حالتها، وأودعت هناك أياماً عديدة حيث رآها الطبيب مراراً، ودرس حالتها مليّاً، ووضعها رهن تجارب متعددة حتى يستطيع أن يفهم ما يحدث لها..

وبعد مضيّ شهرٍ من الزمن..

شخّص الطبيب كاتباً في ملفها:

"شذى فتاة في الثانية والعشرين من عمرها، تتخيل انعكاسها في المرآة يحادثها ويأمرها بالقتل، فتفعل خوفاً من تهديده بقتل صديقتها ليلى وحبيبها مصطفى، اللذين قضيا في حادث أليم منذ سنتين قبل أن تصل شذى إلى هنا، وقد كانت معهم وهي الناجية الوحيدة..

بعد دراسة حالتها دراسة مفصلة وإجراء العديد من التجارب العلمية معها، وجدنا أن شذى مصابةٌ بانفصام الشخصية الحاد لعدم قدرتها على تقبل موتهم، فقد أصبحت شذى تحمل في داخلها شخصين يتصارعان في جسد واحد، وقد تقضي بقية حياتها بين جدران هذه المشفى".

ولكن..

في مكانٍ ما من العالم، انقشعت ستارة مسرح ليخرج رجلٌ يضع كحلاً في عينيه قائلاً:

"أهلاً وألف أهلاً بكم"

ذو الشعر الذهبيّ المخوتم

الكاتبة: رشا عيسى

شغف الطفلة ذو الشعر الذهبي المخوتم التي تعرف أسرار الناس دون أن يخبرها أحد بهم لا تعرف النوم أبدًا التي تبلغ من العمر أثنا عشر عامًا لديها أختها دهب التي تبلغُ من العمر ٢٥ عامًا خريجة من كلية الحقوق تلكَ الطالبة من ذوي الاحتياجات الخاصة المقعدة الطموحة الذي لم يأثر بها مرضها رغم صعوبته بل قاومته وتغلبت عليه رمزًا للشجاعة والصلابة وأخوها الأكبر في عمر الثلاثة وعشرين سنه طالب أدب إنكليزي يدعى علي لديه شغف كبيرًا باللغة الإنكليزية نعم لقد علمته أخته الوقوف بعد كل فشل علمها الصلابة والقوه أبوها ذلك الأب الحنون بائع الورد الذي يصل عمره إلى ستين سنه أما الأم تبلغ من العمر ٤٥ سنه أسره لا تعلمُ للسقوط معنى فكلِ فردًا منها رمز للصلابة والقوه شغف تلكَ الفتاةُ المتوحدة التي لا تحبُ اللعب مع أحد لا تحب الأصدقاء تميل للجلوس بمفردها حتى في المدرسة لاحظَ الجميع وحدتها وحاولوا الاستفسار عن وحدتها ليكون جوابها المعتاد هو لا أحب اللعب مع أحد أفضلُ الجلوس بمفردي وأهلها كانوا دائمًا يحاولون حل المشكلة لكن دون جدوى حتى بدأ قلقها الدائم يومًا بعد يوم يزداد في الليل المؤدي إلى عدم نومها دقيقةً واحده، كانت دائمًا عند الذهاب للنوم تبدأ أفكار غريبة تلعبُ في رأسها ومنها أن أختها دهب ليست أختها الحقيقة ليزداد الموضوع تفاقم كل يوم، الغريب في الأمر أنها كانت رغم استيقاظها الدائم في الليل لا تتعب بل تكون نشطه وكأنها قسطًا من الراحة لمدة طويله وفي يومًا من الأيام ذهبت لنوم لكن كالعادة بدأ قلقها الليلي وفجأة وهي مستلقيه على سريرها رأت شبح فتاة ذو شعرًا أسود طويل، أظافر طويله كالمشعوذات، ملامحِ وجهًا قد اتعبه الزمان تتقدم منها حتى جلست بجانبها ع السرير خافت كثيرًا حاولت الصراخ لكن دون جدوى صوتها لم يخرج كأن أحدًا قد سرقه ليرتجف جسمها بأكمله من الخوف تصبح غير قادره على التحكم به وضعت يدها على كتف شغف حاولت أن تبتعد لكن لم تتمكن وكأن جسدها جسد شخصًا ميت،

- قالَ الشبحُ لها لا تخافي أنا نسخةِ شغف الثانية اختكِ دهب ليست اختكِ الحقيقية لا بل أباك كان متزوج من امرأة غير أمك وتوفت بعد أن ولدت اختكِ دهب.

- ذُهِلت مما سمعته لتتشابك الأفكار في رأسها كشبكةِ العنكبوت

- ـ قالت لها الشبح لا تقولي لأحد أني جئتُ لزيارتك اليوم وإلا لن أزورك مره اخرى واختفت الشبح، حاولت شغف أن تناديها لكن لم ترد عليها قضت الليل برعبٍ لا يصدق وهي تفكر كالمجانين فمن تكون هذه الكائنة وكيف عرفت بسر أختها، وعند حلولِ الصباح بدأت أمها بتجهيزها لذهابِ للمدرسة

- -قالت لأمها أمي هل دهب هي أختي الحقيقية؛

- لتتفاجأ والدتها بهذا السؤال -وتجاوبها نعم يا فتاتي الجميلة لكن، لماذا تسألي ـقالت لها لا شيء يا أمي سؤالًا فقط، وقضت والدتها اليوم وهي تسأل نفسها لماذا سألت طفلتها ذلك السؤال وكيف لفتاةٍ صغيرةٌ السن أن يخطر لها هذا الأفكار، وقررت إلا تخبر والدها بالموضوع ذهبت إلى المدرسة وطوال اليوم وهي تفكر بهذه الكائنة التي زارتها في الليل لتشعر كأنها في حُلم وعند عودتها إلى المنزل وتغيير ملابسها أتت اختها وهي تجرُ كرستها ـ قالت لها هيا يا أختي لنتناول الغداء واستدارت لتغادر الغرفة - نادتها دهب أنت لستِ أختي والدتكِ توفت بعد أن ولدتكِ ذُهِلت مما قالته أختها الصغيرة لتصمت لدقائق لا تعرف تقوله من أينَ أتت أختُها بهذه الأفكار، استدارت -وقالت لها أنت ماذا تقولين ومن أينَ جئت بهذا الكلام أنهُ كلام غير صحيح فوالدتك هي والدتي قفزت الفتاة عن السرير تركضُ نحو الصالون

- -وقالت لهم لماذا كذبتم علي دهب ليست أختي لماذا أخفيتم عني الموضوع. ورجعت إلى الغرفة وقفلت على نفسها الباب لكن الجميع ذُهلَ الجميع بما قالتهُ الطفلة ليسأل علي ودهب من أين أتت بهذا الكلام وهل هو صحيح

- ـ ليخبرهم الأهل لا ليسَ صحيح دعونا نذهب لنرى أختكم نادوها كثيرًا لتفتح لهم الباب لكن بعدَ محاولات كثيره فتحت سألوها من أينَ أتت بهذا الكلام لم ترد عليهم بحرفٍ واحد.

- ـقال الأهل لعلي ودهب دعونا نتركها لوحدها حتى تهدأ ثم عادوا ليتناولوا الغداء حتى لا يلاحظ علي ودهب على الأهل شيء تصرفوا الأهل بشكل عادي حتى لا ينتبه الأولاد الأهل مذهولين فكيف عرفت ومن أين أما شوق فكانت متشوقة لمجيء الشبح مره اخرى انتظرتها طوال الليل لكن لن تأتي حل الصباح جهزتها والدتها كالعادة وذهبت إلى المدرسة والشبح يأخذ عقلها لماذا لم تأتي؟!

وهل ستأتي اليوم ؟

مر اليوم بسلام وأتى المساء وهي تنتظر لمجيء الشبح وفي الساعة الثانية ليلًا وبينما كانت تستلقي ع سريرها شعرت بالدوار كل شيء حولها يدور وصوت شخصًا يقول لها والدكِ سيتوفى في حادث سير مرعب نعمممممم صدى صوته ملئ الغرفة شعرت بالرعب لينكمش جسمها بأكمله وتتثبت مكانها ليست قادره على فعلِ شيء ولا تحديدِ مصدرِ الصوت

نادته من أنت ؟

لكن دون جدوى لم يرد عليها لتصبح تائهة كعصفور وحيد في عالمِ الغربان شعورها خليطًا من السعادة، الحزن والضياع فهل تشعر كأنها من عالم الأشباح، لا تصدق ما يحصل معها، فهي سعيدة بأنها تعلم بالأحداث قبل حدوثها وحزينة لأن والدها سيموت لكن، هي لم تفهم نفسها فحياتها خليطًا من الخيال والواقع،

كيف للأشباح أن تخاطبُها؟! قضت الليل وهي تفكر بجنون من أينَ أتى هذا الصوت؟!

ومن أين علمَ أنَ والدها سيموت ؟!

حل الصباح وبدأت والدتها تجزها للذهابِ إلى المدرسة وهي تصففُ لها شعرها

ـ قالت لها: أبي اليوم سيتوفى بحادثِ سيرًا يا أمي أصابها الذهول بما تقوله أبنتها

ـ لتقول لها من أين جلبتي هذا الكلام يا بنتي؟ أبوكِ لن يحدثُ له مكروه لا تتخيلي أشياء تعيسة كهذه مرة ثانية،

-حاضر يا أمي.

مر اليوم بسلام لكن شغف غير قادره عن التوقف عن ما يحدث معها، وهل سيتوفى أبوها اليوم؟ لنرى أن كانت الشبح محقه أم لا، أتى وقت عودة الوالد لكن لم يأتي ليمر سعةً والانتظار يأكُل قلب الوالدة،

بدأ الخوف يظهر على وجهها ليلاحظ علي ودعي حالة والدتهم،

علي ودهب: هل أنتِ بخير؟ ملامح وجهكِ غير عادية

الوالدة: بدأتُ أقلق على والدكم شغف قالت لي في الصباح أن والدكم سيتوفى في حادث سير ولا أعلم من أين أتت بهذه الأفكار.

علي: أمي ماذا تقولين شغف صغيره ولا تعرف ماذا تقول لا تقلقي.

الأم: أبوك يجب أن يكون أتى من ساعتين وجهازه مقفل.

علي ودهب: من الممكن أن يكون أنتهى شحنه، ولديه الكثير من الأعمال اليوم أدعي له بالخير.

-الوالدة: أمل أن لا يصيبه مكروه.

وعندَ عودتِ شغف إلى المنزل دخلت الى المنزل،

ـ شغف: مرحبًا أين أبي؟

الأم :أهلًا يا صغيرتي لم يأتي بعد بدأ الخوف يدخل إلى قلبِ شغف ليجلس الجميع منتظر للوالد والخوف، الرعب، والاستغراب يملئ المكان، هل سيتوفى حقًا؟ فالجميع في ضياعً كامل لما يحدث حولهم، فلأشباح كما تعرف شغف كائنات ليست موجوده، رأسُها ممتلئ بأسئلة، أفكار، خوف ...

رنَ جهاز الوالدة لتكتشف أنه رقمًا غريب.

ردت.

الرقم الغريب: مرحبًا أنت زوجه

الوالدة :نعم أنا.

الرقم الغريب: زوجك في المستشفى الأن فقد اصطدم بسيارةٍ في الطريق.

لتنهار الزوجة مما سمعته، تفاجئ الجميع بما حدث كيف اشغل أن تعرف ماذا سيحدث مع أبوها، أكل التفكير عقل الجميع ذهبوا إلى المستشفى،

مرّ أسبوع التعزية وجميع من في العائلة فقد عقلهُ على ما حدث، من أينَ لهذه الفتاة أن تعلم بماذا سيحدث؟

معجزه؟

حاولَ الجميع معها للاستفسار من أينَ تأتي بهذه الأخبار لكن كانت مصرة على أن لا تقول لهم؟

أتي الليل وأتى معه الضياع، الخوف، الانتظار،

فما هو السر اليوم؟

وهل ستأتي الشبح؟

لنرى...

وبينما هي تجلس على الكرسي بجانب النافذة تشاهد منظر النجوم حتى بدأ الهواء يتلاعب بخصلات شعرها، وتحريك كل شيء داخل الغرفة، لتظهر الشبح ذو الشعرِ الطويل، أظافر مشعوذة مع ضحكةٍ يملئ صداها أبقاع العالم، لتجمُد شغف مكانها غير قادره على الحركة خليطًا من المشاعر ينتابُ شغف في هذه اللحظة خوف، واخيرًا أتت، شغف لسر اليوم، فكيفَ لعقل فتاةً كهذه أن يتحملَ كل هذا؟

هل ستعيش عمرها هكذا؟

- هل اشتقت لي؟

- -أم كنت تنتظريني؟

- - متحمسة لسر اليوم؟

ـ أنت لا تصدقي ما يحدث نعم، فمن الممكن أن تكوني شبح، هل تعلمي أنَ أخاك يحبُ فتاةً من غير طائفتكم تُدعى طيف، ليصيبُها الذهول، الاستغراب مرةً أخرى، فكيف لشبح أن تعلم بأفكار شغف التي تدور داخل عقلها، أسئلة تدور في رأسها، ماذا تقصُد من غير طائفتُنا؟ اختفت الشبح كالعادة في لحظةُ انتهائها من أخبارها السر، ماذا يحدُث ليلًا مليء بالأسئلة، فعقلها أصبحَ غير قادر على تحمُلِ ما يحدث، أتى الصباح لتقفز من سريرها مسرعة إلى اخاها لتفتح الباب دون إذن متلهفة،

- لتقول شغف أنا أعلم أنكَ تحبُ طيف فطيف ليست من طائفتُنا.

ليتجمد علي مكانه غير قادر على النطق بحرف لدقائق،

-علي: أنت ماذا تقولين، من أينَ أتيتي بهذا الكلام من قال لك؟

-شغف: لن أقول لك،

حاول أن يعلم من أين علمت لكن كانت مصره على أن لا تقول له، ليبدأ بالخوف أن لا تبوح لأحد لما عرفته،

-علي: أسمعي أنت لا يجب أن تقولي لأحد بهذا السر وإلا لن أجلب لكِ حلوى.

-شغف: حقًا ستجلبَ لي الحلوى؟

-علي: نعم سأجلُبَ لكِ حلوى شهيه لكن، أن وعدتني أن لا تحكي لأحد.

- شغف: أعدك أن لا أحكي لأحد.

- علي: هيا يا صغيرتي الآن اذهبي إلى غرفتك قبل أن يراكِ أحد هنا.

- - شغف: ملوحة لعلي إلى اللقاء.

- علي بدأ بالاستغراب كيف لأُخته أن تعلم بسره فهو لن يبوح به لأحد،

- حضرتها والدتها كالعادة وذهبت إلى مدرستها وهي متحمسة لتذوق الحلوى التي سيجلبها أخوها عادت من المدرسة ليفتح لها علي الباب

- - علي: هيا يا صغيرتي تعالي لتري ماذا أحضرتُ لك.

- - شغف: هل أحضرتُ لي الحلوى حقًا؟

- - علي: بالطبع يا صغيرتي، لكن قبل قولي لي هل

- أخبرت أحد بالسر الذي بيننا لا لم أخبر.

- لتضم شغف أخاها وتقول له شكرًا لك

- -علي: سأجلب لكِ حلوى وسكاكر شهيه دائمًا أن لم تخبري أحد.

- - شغف: موافقة.

- ثم خرج من الغرفة والاستغراب مازال يأكُل عقله.

- ثم بعد انتهائها من تغييرِ ملابسها وتناول الغداء، ذهبت لتدرُس كالعادة والشوق بدأ يملأ قلبُها هل ستأتي اليوم الشبح؟

- وما السر الذي ستبوح لها به اليوم؟

-وكالعادة بعد أن انتهت من دراستها وهي مستقليه على سريرها أتت الشبح لكن لم يكن صوتها كالعادة بس كان صوتا مليئًا بالخباثة لتقول ستصابُ والدتكِ بالسرطان وستفقدينها، ذُهلت بما سمعته لتقضي الليل كامل وجسمها يرجف بأكمله والخوف يأكلُ قلبِها أتى الصباح وبدأت والدتها بتجهزيها وهي تودعُها،

ـ قالت لها امي أنت ستصابين بالسرطان سأفقُدكِ أنا أحبك،

- والدتها: لماذا تتكلمين بهذه الطريقة دائمًا لن يحدُثَ شيئًا أنا سأكون بجانبك دائمًا.

ـ الفتاة: حاضر يا أمي إلى اللقاء.

ما أن مرّ سعه من ذهابِ الفتاة حتى بدأ قلبها يؤلمها بطريقه غير محمولة، قررت أن تذهب إلى الطبيب طلب منها تحاليل وبعد أن أجرت التحاليل وذهبت ليراها الطبيب ما أن أعطته التحاليل حتى صُعق بما رآه خافت من تعابير وجه لتسمع الخبر الغير متوقع

ـ الطبيب:للاسف أنت مصابه بسرطان القلب فهو مرض نادر جدًا ويجب علينا البدء بالعلاج لقد فقدت عقلها ما الذي يحدث كيف لهذه الفتاة أن تعلم بماذا سيحدث وقررت أن تأخذها إلى طبيبًا نفسي وعند عودتها جهزت الغداء تناولوا الغداء ثم قالت لشغف سأذهب انا أنت مشوارً هيا يا صغيرتي أذهبي وارتدي ثيابك طار عقلُ شغف بأنهم سيذهبون مشوار حتى أنها لم تسأل إلى أين جهزوا أنفسهم وذهبوا وهم على الطريق

ـ قالت لابنتها: سنذهب إلى شخص سيعلمك كيف ترسمين ما رأيك؟

ـ الفتاة : نعم أنا موافقه تحمست الفتاة .

وعند وصولهم لعيادة الطبيب شرحت لطبيب وضع أبنتها وللأسف الشديد أخبرها خبر صادم

ـ الطبيب: للأسف يا مدام أبنتك بحاجه إلى مصح عقلي مباشرةً بدأت بالبكاء الشديد ليدخل طبيبان ويأخذا ابنتها بالقوة...

مريضة الغرفة 12

الكاتبة: إسراء زينو

الساعة 4:05 فجرًا، صراخ يصل حدود السماء داخل أروقة مستشفى "مهد الحياة"، حيث تُروى بين غرفه وأخرى قصص عن أشكال الموت والحياة. كان الكادر الطبي يجول بين الثانية وأجزائها إلى الغرفة رقم 3. ومع كل صرخة ألم، نتيقّن أن الأرواح داخل أرحام الأمهات تطلق زفرات تصارع فيها الحياة للنجاة حتى لو كلف الأمر بقايا حياة أخرى.

الممرضة: "دكتور مجد، قد نفقد المريضة، العملية معقدة بشكل لا يوصف."

الطبيب مجد: "لا! لا أستطيع أن أكمل الولادة الطبيعية، النزف شديد، والأم تلد قبل ميعادها بكثير."

الطبيبة هدى: "طبيب مجد، سنحولها للقيصرية."

اقتربت الطبيبة هدى من رأس سامية وقالت: "احكمي قبضتك على الحياة، ففلذة كبدك يحتاج إصرارك."

سامية: "أرجوك... أنقذيه... أرجوك... هو... هو... آخر قطعة لي من زوجي."

الممرضة: "العمليات جاهزة."

كانت ساعات الفجر تترقب وصول مولود سامية، واليدين رفعا حدود السماء تدعي ليجاب مطلبها بسماع صرخاته الأولى. وبعد أربع ساعات في غرفة لم يجرؤ أحد حتى الخطى أمامها، خرج الفريق الطبي برفقة سامية وثمرة زواجها.

الدكتور مجد: "الحمد لله، بشرك الله بذكر يرعى دارك."

الدكتورة هدى: "مبارك لك، أمدك الله وإياه بالصحة والعمر الطويل."

سامية: "تعجز كل كلمات الشكر لكم أمام محنتي هذه. خفت أن أفجع بأمانة زوجي وأن أفقد ذكراه طوال حياتي. بارك الله بكم."

بقيت سامية في مشفى "مهد الحياة" قرابة الخمسة أيام، كانت بالكاد تستطيع الحراك حتى عادت إلى منزلها. قلة من طرق بابها، فهي يتيمة الأب والأم منذ الخامسة عشر من عمرها، انتشلتها إحدى دور الأيتام حتى قابلت مراد، قرير عينها، الذي عالج جراحًا لم يكن مسببها يوماً. فالأب والابن والزوج والحياة بأسرها تقلصت على كتفه الذي تميل سامية إليه، محملاً بكل ثقل أفكارها. لكن القدر كلف عناء أخذ أمانة مراد ليتوفى بحادث أليم، مما جعل ولادتها مبكرة.

تعاطف وإحسان الجيران معها هو ما يسر لها مرورًا طيبًا لأيامها، بقي خيطها مع الدنيا، طفلها جواد فقط.

ليالي ديسمبر الباردة، تمام التاسعة ليلاً، تطرق مروة بخفة على الباب.

سامية: "من؟"

مروة: "جارتك مروة."

فتحت سامية الباب بعد أن أخفت طفلها داخل الغرفة الأخرى.

مروة: "سلام الله عليكِ، غاليتي، هذه بعض الفطائر والحطب من باقي الجيران لكِ ولطفلك."

سامية: "سلمت يداكِ، وجارك الله وإياهم خيرًا."

مع محاولات مروة الدخول لرؤية الطفل، وقفت سامية أمامها مباشرة وأخذت الأغراض، مسرعة في إغلاق الباب، الأمر الذي زاد استغراب الجيران بعد أن حدثتهم مروة بما حصل. كانت سامية تتصرف بغرابة جدًا، فهي لا تفتح الباب ولا تسمح لأحد بالاقتراب أو رؤية طفلها، وتبقى بجانبه

ليالي طويلة دون حراك حتى، الأمر الذي جعل كل من جاورها يتغاضون عن زيارتها مطلقًا.

سمي ابنها جواد كما أراد زوجها مراد. كان جواد طفلاً ينطوي عن العالم بأسره، لا يلعب مع أحد. يكفيه من الدنيا أمه التي لا تفارق عينيها عن مراقبته مرارًا، حتى بات الجيران يعتقدون أنه أصيب بالتوحد.

كانت سامية تعمل كل ساعات النهار بتنظيف المنازل، ممسكة بيد طفلها ذا الستة أعوام ولا يفارق يدها حتى خلال ساعات العمل.

ديمة: "سامية، سيأتي لزيارتي ضيوف من المكتب. احتاج أن ينظف المنزل بشكل أحسد عليه."

سامية: "بالطبع، حالًا."

أمسكت سامية بيد ابنها مباشرة.

ديمة: "سامية، كيف ستعملين بوجود طفلك؟ دعيه يلعب مع طفلي في غرفته ريثما ننتهي من الأعمال."

سامية: (بنبرة جنون) "كلا!! ... أقصد!! لا يفارق يدي، أخاف أن يزعجه. وابني لا يحب اللعب على كل حال."

ديمة: "لا تقلقي، سيلعبون فقط. وفي النهاية، إنه طفل، سيحب اللعب. وتعودي بعد الانتهاء لأخذه."

سامية: "بالطبع، بالطبع."

صعدت سامية الغرفة، وضعت جواد بجانب طفل ديمة.

سامية: "إن خفت، اهرب لي، وإن أزعجك، أخبرني، لا تسمح لأحد بالاقتراب منك، سأكون هنا دائمًا."

كانت سامية تنظف المكان حول غرفة طفل ديمة حوالي الساعة كاملة، وكان جواد يلعب حدا يلهيه عن والدته. حتى نادتها ديمة.

ديمة: "منذ مجيئك وأنتِ تنظفين المكان نفسه! أسرعي قليلاً، لدينا الكثير للعمل به."

سامية: "حسنًا، حسنًا بالطبع."

كانت سامية بين الدقيقة والأخرى تصعد لغرفة الأطفال، تراقب ابنها. تراه يلعب مع الطفل الآخر، وتعود مسرعة بعد انتهائها من عملها. ذهبت مسرعة وأخرجت طفلها الذي ظل باكياً يحاول العودة للعب. فكانت تلك تجربته الأولى للعب مع شخص آخر عدا والدته.

ديمة: "تمهلي قليلاً، لم تأخذي مالك."

سامية: "آه، آه بالطبع."

ديمة: (بسخرية) "تأتين كل مرة إلي تترقبين طفلك وكأنه مهدد من قبل عصابة! دعيه يلعب، فالطفل بحاجة دائمًا للعب. كيف سيكون فعلك عندما يكبر ويبدأ بالذهاب للمدرسة والجامعة؟"

سامية: "لن أسمح له أن يبتعد دقيقة عن ناظري."

ديمة: "آه، لم أقصد. أعني، إنها مراحل الحياة."

خرجت سامية من منزل ديمة بعد أن أخذت أجرها. كانت ديمة ترى نظرات سامية المرعبة وهي تحادثها، وتردد: "أيعقل أنني أزعجتها؟"

مرت أربعة سنوات يومًا مع يوم، وكان تعلق سامية بابنها يزداد بشكل مرعب. فلا تسمح له بالخروج مطلقًا، ولا اللعب، ولا المدرسة. حتى اجتمع أهالي الحي شفقة على جواد، الطفل حبيس المنزل الذي لا يعرف

الحياة خارج جلباب والدته، واختاروا شيخ الحي ليتحدث مع سامية بأصواتهم.

وبالفعل، جاهد الشيخ إحسان ليحادث سامية مرارًا، والتي مع كل دقيقة وأخرى تهرب حتى لا يوقفها أحد.

الشيخ إحسان: "ابنتي سامية، انتظري لدقيقة."

سامية: "أعتذر، لدي عمل مهم، عندما أعود سأطرق بابك بالتأكيد."

الشيخ إحسان: "لن أؤخر عملك، فكلانا يعلم إنك لن تطرقي الباب يومًا."

سامية: "لا، كنت فقط مشغولة."

الشيخ إحسان: (وهو يربت على رأس جواد الذي بدوره وقف مختبئًا خلف والدته) "كيف حالك يا صغيري؟ ما شاء الله كبرت وأصبحت رجلاً، كما حال والدك رحمه الله عليه."

سامية: "لا، ما زال ابني طفلاً، ابن عشر سنوات."

الشيخ إحسان: "سمعت أنكِ لا ترسلينه للمدرسة، أهذا صحيحًا؟"

سامية: "ما زال صغيرًا، سأرسله فيما بعد."

الشيخ إحسان: "إذا ما يتداوله الناس صحيح، ابنتي. ما تفعلينه خاطئ، وهو بالفعل متأخر جدًا عن أقرانه."

سامية: "أخبرتك، سأرسله عندما يكبر. لا يزال طفلاً بحاجة لي، وأنا احتاجه."

الشيخ إحسان: "إن كنت سترسلينه، فلماذا ليس الآن؟! إن كنتِ تحتاجين أدوات أو تكلفة مدرسية له،

سامية: "كلا، لست بحاجة لمال، فعملي يكفيني."

الشيخ إحسان: "إذاً، لماذا؟"

سامية: "المدرسة مكان مجهول لي، قد يقع أو يزعجه أحد، قد لا يسمح لي أن أراه هناك. أتركه للموت، كحال والده؟"

الشيخ إحسان: "للموت؟! تلك مدرسة، يا بنيتي. الموجود فيها أطفال، لا وحوش! وأما ما حدث لزوجك، كان قضاء الله، فالموت الحق الوحيد العادل للجميع.

سامية : برأيك هل اتركه للقدر ؟!

الشيخ إحسان: كيف ستواجهينه إذاً عندما يكبر ويشتد حالك ويسالك أمام الله عن علمه؟! وكيف ستجيبين والده إن سَأَلَكِ عن كيف نَبَتَت ثمرة حبكم؟!

سامية: لكني أخاف أنه...

الشيخ إحسان: لا تخافي بنيتي، فطفلك في رعاية الله. استعدي غداً، ستذهبين لتسجيله في مدرسة الحي، وسأحادث المعلمة نورا حتى تحاول تعويض الفاقد التعليمي له.

سامية: كما ترى يا شيخ إحسان... في صباح اليوم التالي كانت سامية تحاول أن تخرج بسرعة وفي وقت باكر للعمل حتى لا يراها الشيخ إحسان، ولكنه أوقفها قبل أن تصل إلى آخر الحي.

الشيخ إحسان: أصبحنا وأصبح الملك لله. ما شاء الله، أرى أنكِ أخذتِ بنصيحتي وقررتِ الذهاب باكرًا لتسجيله.

سامية: آه، بالطبع، ولكن لدي عمل هام وبعدها سأذهب للمدرسة.

الشيخ إحسان: إذًا لما لا تذهبي لعملك وتتركيني أذهب برفقة الرجل الصغير هذا؟

سامية: كلا... سأذهب أنا معه، لأنني لا أستطيع تركه، فهو لا يزال طفلاً صغيرًا. لم يصبح رجلًا بعد، ما زال صغيرًا جدًا لا يبرح دون والدته مكانه. كانت سامية تحادث الشيخ وكأنه لص يحاول سرقة طفلها، مما أراب قلب الشيخ الذي قرر أن يجبرها على فك أسر ابنها.

الشيخ إحسان: حسناً، سنذهب معًا كلنا، ما رأيكِ؟ وتعودين بعدها. في ذلك الوقت، علمت سامية أنه لا مفر من قبضة نصيحة الشيخ إحسان، لذلك قررت أن تأخذ خطوة جريئة أمام جذور أمومتها.

سامية: حسنًا، لنذهب. كان الطريق يطول بفعل خطوات سامية وطفلها الذي يماشي حركة ساقيها، والشيخ إحسان يلاحظ كل تفصيله وحركة تحاول فيها سامية أن تؤخر موعد تسجيل طفلها. دخلت سامية وجواد مع الشيخ إحسان وتعارف كل منهم على المعلمة نورا التي طمأنت قلب الأم بأن ابنها في أمان. لكن آثار الفقد لا تزهق سوى الأرواح ولا تخفي بشاعة الفراق. كانت سامية تجالس يوميًا باب المدرسة، تقف أمام نافذة الصف يوميًا بلا ملل أو حراك حتى أصبح الأمر الذي بدأ يزعج جواد ويشعره بعدم الراحة. ففي أوقات الفراغ، بينما يحاول اللعب مع أصدقائه، تأخذه أمه لتبقى بجانبه. شعر أنه محاصر من يحب، فالكلام يجرح والصمت عقاب. ومع مرور السنين، أستطاع جواد بمساعدة إدارة المدرسة والمعلمين باللحاق بأقرانه ، لم تشعر يومًا سامية بضرورة ترك مساحة شخصية لابنها. فكلما حدثته، أخبرته أنه ما زال طفلاً. حرمته من ارتياد أفضل المدارس بسبب بعدها عن الحي، ولأنه طالب متفوق كانت تنهال عليه المنح التعليمية. وفي نفس الوقت، تطلق عليه النكات، فأصبح أضحوكة لأهالي الحي. شاب بعرض الحائط، لا يقدر على الخروج دون أمه التي أصبحت ملازمة له. أصبح في سن العشرين حين قدم له منحة لدراسة الحقوق في أرقى الكليات. وجاء ليخبر والدته حينها.

جواد: أمي، أمي، أمي!

سامية: أين أنتِ؟ حتى هذه اللحظة؟! قلت لي ستعود في الثانية!

جواد: أجل، هي الثانية وخمسة عشر دقيقة، لم أتأخر.

سامية: لم تتأخر؟ ماذا تعني إذاً الخمسة عشر دقيقة؟! لما تحتاجها؟ أصررت على بقائي في المنزل وسمحت لك، ولن أكرر خطأي.

جواد: حسنًا، حسنًا، أعتذر، لكن أنصتي لي جيدًا، ستنسين تمامًا لما تأخرت.

سامية: ماذا حصل؟

جواد: تم قبول منحتي لدراسة الحقوق في أفضل الجامعات.

سامية: لكني لا أذكر أن هناك جامعة قريبة، لا في حيينا ولا في الحي المجاور.

جواد: آه، هي في العاصمة.

سامية: عاصمة!! أجننت؟ بالطبع لا، أنت لا تحتاج العلم حتى.

جواد: لما؟ ظننت أنكِ ستفرحين.

سامية: أفرح بخبر بعد قرير عيني؟! لا، لا، لن أسمح لك.

جواد: لقد أزهقت روحي من هذه التصرفات منذ أن كنت طفلاً، وأنتِ تسارعين لإخفائي. لم يكن يومًا الدرب ملكي ولا الرفاق رفاقي. ألم تلحظي أنني بلغت، أنا أبلغ العشرين؟! إنه سن السعي. أتودين أن أجالسك في المنزل وأنتظر عودتك لتطعميني؟

ما قاله جواد كان كحد السيف على عنق والدته. تمرد وكأنه السجين، كما تمرد والده لأجل العمل. لذا لم يكن أمامها سوى إما ابنها أو دونه.

سامية: أهذا ثمن تربيتي لك؟ أهذا ثمن شقائي؟

جواد: أمي، أرجوك، أنا لا أنكر فضل الله وفضلك عليّ، لكنني لست رضيعًا، أنا شاب بالغ. أحتاج لأرى مسعاي من جانب مختلف.

سامية: كلامك كحد النصل على قلبي. أتعلم؟!

جواد: وكلام أهل الحي، وكلام رفاقي، وكلام الجميع. كل من ينظر للطفل جواد على أنه رضيع والدته. كل ذلك اقتلع قلبي منذ أن كنت في العاشرة. أرجوكِ، أمي، أحاول فقط أن أسعى لحياة أفضل. ذهب جواد يومها خارج المنزل. بقي عقل سامية يفكر وقلبها يعتصر ألمًا. تأخر جواد يومها، وظنت سامية أنها زادت ضغوطات ابنها حتى جعله لا يعود. وبقيت حتى الواحدة ليلاً.

سامية: تأخر كثيرًا، سأرتدي عباءتي وأخرج للبحث عنه. لحظة، ودخل جواد. كانت المرة الأولى التي يسبق فيها أن يفوز اشتياقها العتاب. ضمته.

سامية: أين كنت يا بني؟! أترك من أنذرت عمرها لك !

جواد: اجتمعت مع أصدقائي لنتناقش بخصوص المنحة.

سامية: سأسمح لك بالتأكيد أن تكمل، ولكن بشرط.

جواد: (وضحكت عيناه وارتفعت وجنتاه) بالطبع، لكِ ما تريدين.

سامية: سنأخذ بيتًا بجانب الجامعة وتذهب وتعود بسرعة كما كنت تفعل يوميًا.

جواد: بالطبع، بالطبع! بالفعل انتقلت سامية وابنها جواد إلى العاصمة، جلسوا في منزل يجاور الجامعة تمامًا، وراح يكمل تعليمه. حتى التقى بـ راوية، فتاة تدرس معه بنفس الاختصاص. كان عاشقًا وحنونًا كوالده تمامًا، متمسكًا كوالدته. وعاد إلى سامية يومًا ليخبرها أنه الحب قد طرق قلبه وأنه

معجب بفتاة ويريد خطبتها، ولكن رد فعل سامية كان أشرس مما هو متوقع. رفضت بشكل قطعي، فباعتبارها لا يجب أن تقف مكتوفة الأيدي وطفلها يُخطف. حاولت تهديد ابنها بقتل نفسها فخشي فراقها وأخبرها أنه لا يريد الزواج حتى مرت شهور. كانت سامية تراقب جواد عن كثب حتى جاء اليوم الذي أخبرته فيه راوية أن والديها قررا تزويجها. لم يرد جواد التخلي عن خليلة قلبه، فذهب لمنزلها بمفرده وطلب يدها. وافقت العائلة بحكم أن جواد شاب يتيم ومثقف ومتعلم. أخبرهم أن والدته مريضة جدًا وستأتي في وقت لاحق. لكن أهل الفتاة لم يقبلوا أن تبقى ابنتهم بلا خطبة، فزاد ضغط عقل جواد. من ناحية أخرى، اقترح على راوية أن يتم زواجهما بالمحكمة، وهكذا يضع العائلتين تحت وطأة المسؤولية تجاههم، فلا عائلتها تستطيع تزويجها ولا أمه ترفض. وبالفعل جاء اليوم المنتظر، تزوجت راوية وجواد، الذي أخذها إلى منزل والديها. في البداية كان الرفض والاستنكار واضحين، ولكنها في النهاية هي ابنتهم. وقررا بعدها رؤية سامية التي كانت تشتاط غيظًا من تأخر ابنها على غير العادة. دخلا المنزل.

سامية: أين كنتِ يا...؟

جواد (ممسكًا بيد راوية): أعرفكِ، هذه نصف ديني. راوية أصبحت زوجتي الآن، سامحيني، لم تتركيني لي خيار.

سامية: ماذا؟ تمزح؟!

جواد: القي السلام على والدتي.

اقتربت راوية من سامية، حتى انقضت عليها كالوحوش. حاول جواد بقوته التي يفرضها للمرة الأولى أمام والدته أن يبعدها عنها.

جواد: أمي، كفى، ما تفعلي ليس صحيحًا.

سامية: خطفتِ ابني! سارقة! سَأَقْتَع قلبكِ هذا!

جواد: كفى! من الآن، إن بقيت تصرفاتكِ هكذا، سأخذ راوية ونعيش وحدنا، وسأزوركِ حتمًا. دخل جواد لوضع أغراضه، وبقيت راوية أمام الباب. كانت سامية تخاف تلك اللحظة التي يفر السجين من السجان، لذا أمسكت زمام الأمور ودخلت إلى جواد.

جواد: أمي، أرجوكِ أن تَأْتِي لتبقيني هنا. لا أقبل ولن أتركِ أيضًا.

سامية: أعتذر، ما بدر مني كان سيئًا. خوفي من فقدك كوالدكِ أيقظ فيّ وساوس الشيطان. بني، أرجوك لا ترحل. مستعدة للاعتذار أمام الملأ لحبيبتكِ، أرجوك.

جواد: أمي، كفى! أنا لست عاقًّا حتى أفعل ذلك. أرجوكِ لا تعتذري. دخلت راوية تتفقد جواد، فأمسكت سامية بها وأجلستها على الكرسي.

سامية: أعتذر يا طفلتي، أرجوكِ سامحيني، لا غيب الله فقيدًا عن عينكِ حتى لا تعيشي بمكاني.

راوية: أرجوكِ خالتي، سامحيني. ما فعلناه كان خاطئًا، لكننا لم نجد أفضل من ذلك.

سامية: حسنًا، كاعتذار مقدم مني. ابقوا الليلة معي، أرجوكم. وإذا صباحًا نذهب إلى منزل راوية لنحادث أهلها. في تلك الليلة السوداوية قرر جواد وزوجته البقاء مع سامية. كانت سامية في غرفتها تبكي طوال الليل تحت الوسادة، وتصرخ بصمت وتشعر بضياع طفلها. وتظل تسأل نفسها: "ما الذي يميز هذه الفتاة حتى يفضلها على من أنجبته؟" نزلت إلى الطابق السفلي، لم تجد ابنها في الغرفة، وكانت راوية تنام بعمق. خرجت لتحضر وقود التدفئة. في تلك الأثناء، دخل جواد بخفة لغرفة راوية ليخبرها بأمر مستعجل. أحضرت سامية الوقود وأشعلت الغرفة بالكامل، وأقفلت الباب

حتى رأت من النافذة ابنها. توسعت حدقات عينيها، وصرخت باسمه. حاولت فتح الباب فلم يفتح، واجتمع كل من جار منزلها وأمسكوا بها لتبتعد عن النيران التي اكلت أجساد ابنها وزوجته. حاول الجميع إطفاء النار، لكن مع الأسف مات جواد وراوية سجيني الغرفة. وفقدت سامية عقلها. عائلة الفتاة أحالت سامية للقضاء، حتى تم تحويلها إلى مستشفى الأمراض العقلية نتيجة لشهادة الشيخ إحسان ومروة وكل من عرفها. وهنا، الآن، بعد أن أتممت بحثي حول مقتضيات قصة الخالة سامية وتناثرت كلماتها لكم بزخرفة أدبية، تلك القصة التي سُجلت كواحدة من أشد قصص التعلق المرضي لعام 2019، تاركة خلفها إرثًا مرضيًّا عقليًّا انتهى بجريمة مأساوية لأم وزوجين. أقف اليوم أمام رفات الخالة سامية التي وافتها المنية قبل دقائق عن عمر يناهز السبعين عامًا بعد صراع مع مرض الحقائق المورثة للعالم. رسائل تستودع فيها كل قارئ أن يعطف ويرعى الصغير جواد، مخافة أن تؤذيه ريشة. توفيت، والسؤال الذي بقي لها معلقًا في وهم قصتها هو: من هو المذنب الحقيقي؟! هل هو خيط الزمن الذي قطع حبال عقلها بين الواقع والخيال؟! أم هو خوف الفقد الذي مزق رحمها ليولد من جديد؟! والأهم من ذلك كله، هل يبتلى الإنسان إلا في ما يحب؟!

من أرشيف الطبيبة تارا مشفى الأمل للأمراض العقلية. ملاحظة: تم تحريف الأسماء حفاظًا على خصوصية المريضة.

سارق اللحظة

الكاتبة: شهد ياسر بلوق

في ليلة شتاء باردة ، سقط يوسف ذو الثالث والعشرين عام على الأرض مغمي عليه ، ليستيقظ في صباح اليوم التالي ممداً على سرير المشفى مُحاط بالأطباء والممرضين يشرحون حالته الصحية، أنت تعاني من نوبات هلع شديدة بسبب الصدمات العاطفية والذكريات السيئة ويجب عليك ان تلتزم بجلسات العلاج النفسي والأدوية النفسية .

بعد يومين بدأ يوسف جلسات العلاج النفسي وفي أول جلسة علاج تحدث مع الطبيب وكانت قصته كالتالي :

كان ينتظرها يومياً بشوق ولهفة بعد انتهاء دوامه في الجامعة ، فهي لم تكن فتاة عادية كانت اجمل ما رأى يوسف وأحبها من أول لقاء ، وبعد عدة محاولات للتحدث معها او حتى الاقتراب منها نجحت محاولة من المحاولات وهنا بدأ قلب يوسف ينبض من جديد وأحس معها بالحب والأمان اللذان فقدهما لسنوات عدة بسبب وفاة امه وبعد كل هذا الحب لابد أن يتكلل بالزواج لكن للقدر رأي آخر ، تحدث يوسف مع والده عدنان والدي انا احب فتاة وأريد الزواج منها، فما كان جوابه إلا الرفض والصراخ لم يقبل الاب ولم يعطي سبباً واحد للرفض ، انصدم يوسف وانهار شعر ذات الشعور الذي أحسه عند وفاة والدته و كأن عاد يوسف الطفل الصغيرة الخائف من كل شيء ويواجه العالم لوحدهُ، في تلك الاثناء كانت ليلى تتحدث مع والديها عن يوسف وأنه سوف يأتي للطلب الزواج ولكن كانت ردة فعل الاب قاسية وقف وبدأ بالصراخ لن تتزوجي إلا ابن عمك هذا ما اتفقت عليه مع أخي العزيز وان لم تنفذي ما أقول سوف اقوم بحبسك في غرفة لآخر يوم في حياتي ، انهارت ليلى وبكت كثير و عاشت ايام سيئة لم تستطيع وصول إلى يوسف ولا يوسف يستطيع الوصول لها ، جاء اليوم ودخل عمّ ليلى و ابن عمها وبدأت القصة تصبح حقيقة كانت تشعر ليلى بأن روحها تخرج من جسدها ، ولكن لم يعد يجدي نفعا أي

شيء فقط تم عقد قرانها على ابن عمها وانتهي كل شيء و بقي الحب ذكرى مدفونة داخل القلب .

وبعدة محاولات لوصول يوسف إلى ليلى لم يتوصل الا لمعلومة واحدة وهي زواج ليلى وسفرها خارج البلاد.

بدأت صحة يوسف النفسية تتدهور يوما بعد يوما وبدأ الإدمان على تدخين والسهر على طيف ليلى وصوتها وكل تفاصيلها ، كان كل ما يفعل في حياته انه لا يفعل شيء إلا التذكر الذكريات و الخوف الشديد والقلق المستمر .

بعد مرور شهر ويوسف على هذا الحال لم يتغير ولم يساعد نفسه على النسيان حتى ، جائه اتصال من هاتف والده وكان العامل الذي يعمل مع والده واخبره ان عدنان توفي في المشفى بسبب جلطة قلبية ، سقط الهاتف من يد يوسف وبدأ جسده يرتعش ويرتجف من الخارج والداخل حتى غض ، وهذا كان حاله يتذكر ويبكي و يغض ولا يطلب المساعدة من أحد ولا حتى يريد محاولة الخروج من المنزل حتى .

المرءُ لا تُشقيه إلا نفسه حاشى الحياة أن تشقيهُ ويظن أن عدوه في غيرهِ وعدوه يمسي ويُضحى فيه. وبعد مرور شهر لم يتبقى مال في جيب يوسف و لا طعام فلابد من أن يعمل عمل ما ليجلب طعام لنفسه وفعلا اصبح كل يوم يذهب ويسأل عن عمل يريد عمل وطعام لان الفقر بدأ بقتلهُ اكثر واكثر حتى اجتمع بمحل يريد عامل وبدا العمل يوما بعد يوم وبدا بالتقرب من شاب اسمه حمزة كان حمزة شاب لطيف جدا ، ويوما من الأيام قرر يوسف ان يدعو حمزة الى منزله وقرر حمزة النوم عنده عندما ما رآه وحده ، فعندما وضع حمزة رأسه لينام بدا يوسف بالصراخ لا لا تقتلوني وبدا الركض في منزل تفاجأ حمزة وركض لتهدئة يوسف ، كان يوسف يرى ليلى وعدنان اشخاص يقتلونه، وهكذا كان الحال عندما رأى حمزة ان

يوسف هكذا وضعه قرر ان ينام معه كل يوم وفعلا كانت كل يوم تحدث مع يوسف ذات الاشياء وذات الصراخ بالأسماء نفسها ، أدرك حمزة ان يوسف مريض وفي يوم كان الحالة شديدة لدرجة ان يوسف فقد الوعي و لم يستيقظ رغم كل محاولات حمزة معه ، تمكن أخير من إنقاذ يوسف واخذ على عاتقيه مهمة انقاذ يوسف من هذا المريض ، كان دائما يأخذه كل يوم الى مكان مختلف . وفي اخر جلسة ليوسف عند الطبيب وبعد تحسن الملحوظ على يوسف جلس الطبيب مع يوسف واخبره بالحقيقة وهي ان :

كان صاحب المحل صديق الطبيب وكان حمزة الشاب ابن صاحب المحل الذي كان يعمل فيه يوسف فاتفق الطبيب مع صديقه وابنه لمساعدة هذا الشاب يوسف لأنه كان بحاجة الى العمل والعلاج النفسي والى صديق حقيقي في نفس الوقت . واخيرا تغلب يوسف على ذكرياته و عاش حياته بالإضافة الى صديقه حمزة الصديق الحقيقي الذي ما زال معه حتى الآن .

العيش في الماضي وداخل قوقعة الذكريات لا تفيد الانسان بل تدمره لذا العيش في اللحظة الحالية و الاستمتاع فيه اجمل شيء ممكن قد ان تقدمه لنفسك .

بين العناء والفناء

الكاتبة: فاطمة اسماعيل

في الساعة العاشرة مساءً كان يوم الأربعاء من الشهر السادس

في عام ٢٠٢١ أردتُ أن أنتقم

مضت ثلاث سنوات ومازال الألم ونار تأكل جوفي

عدنا أصدقاء لكن الندم ورغبتي بالانتقام كانت كل يوم تزداد

أخذت جزءًا من روحي بل روحي وربما أكثر

وحين فكرت كثيرًا وقليلًا قلت قد جاء اليوم

ذهبت إلى غرفتي بخطوات خفيفة ومسرعة

أغلقت الباب وأخذت هاتفي

بحثت عن اسم رامي لاتصل به

لم أجد الرقم وكأنه كانت إشارة لا تفعل

ثم بحثت مرة ثانية اسم، اسم

وأخيرًا ها هو وجدته

مرحبًا رامي كيف حالك

أنا بخير يا مازن وأنت كيف حالك

أنا سعيد جدًا وما وراء هذه السعادة فقط أنا سعيد لا أدري

هل يمكننا أن نلتقي ماذا بهذا الوقت

أجلها إلى غدًا لا غدًا لا أستطيع

تمام لا بأس أين نلتقي

نلتقي عند البيت الأسود الذي مليء بالرسوم

هل أنت مجنون بهذا الوقت وتلك المكان

يا لك من جبان يا رامي

هيا، هيا ربع ساعة وسأكون أنتظرك

تمام يا صديقي

ذهبت وحين وصلت المكان مهجور كقلبي بلا سكان وألوان منذ رحلتي

ولم يسكنه أحد وها أنا اليوم أتيت من أجلك لم يكن فراقك هينًا بل كجمرة على قلبي منذ ثلاث سنوات

أتيت اليوم ربما تبرد النار التي داخلي وتكن

تقدمت بخطوات مثقلة كانت كل الأضواء خافتة والمكان لا يوجد به سوى أنا ورامي

رأيته من بعيد لابس أسود وكان يوم عزائه

وبيده حامل ضوء أزرق قوي جدًا كان يغوش على بصري

وحين وصلت إلى رامي لم ألقِ عليه حتى السلام

قال مازن ماذا بك يا صديقي هل أنت بخير

اخرجت الفرد لكن بقي خلف ظهري

ثم ترددتُ قليلًا وتراجعتُ، قلت لا، لا تفعل يا مازن

هل أنتَ مجنون؟ ثم شيء ردَّد داخلي

ماذا تتكلم؟ هو الذي أخذ جزءًا من روحك، هو الذي أخذ فتاة أحلامك أمام عينيك

هو الذي أشعل النار داخلك.

ثم لم أتردد ثانية، ضغطتُ على الزناد وأطلقتُ الرصاصة

وجاءت في قلبه وكأنها موته المحتم عدتُ إلى البيتِ وخطواتي مثقلة

وقلبي بثقلٍ فوقها كأنّه جبلٌ من الهم.

فتحتُ البابَ ودخلتُ وذهبتُ إلى غرفتي، لكن المشهد لم يغادر خيالي ثانيةً.

أردتُ أن أهرب من خيالي والمشهد وكل شيء، لكن لم أستطع التغلب على شيء.

أردتُ النوم وكان النوم يهرب مني حتى.

أغمضتُ قليلاً ثم صحوتُ على ضوءٍ أزرق قوي، فتحتُ عينيَّ.

الضوء كان قويًا جدًا، رأيتُ ظلَّ رامي وبيده الضوء الأزرق يردّد

"لا تفعل، لا تفعل، لا تقع في نفس الخطأ الذي وقعتُ فيه

ثم اختفى. انهمرت دموعي وبدأتُ أُخبط رأسي بالحائط لكن لم يتغير شيء

ثم التفتُّ وكانت الغرفة مليئةً بالوجوه المخيفة، كل وجهٍ منها له شكل.

يقتربون مني وحين يصلون يشعل الضوء الأزرق ثم يختفون

ويخرج ظل رامي مجددًا ويقول لا تفعل، لا تفعل.

ثم يختفي وتأتي مجسمات غريبة ومخيفة

وعيون تذرف دموعًا من الدم،

وكل منها يتحدث بلغة لم أستطع شرحها ولا فهمها

استمريتُ على هذه الحالة سنةً وأربعةَ شهور

ثم قال لي أهلي هيا إلى المصح العقلي، فقد بدأ وضعك يزداد خطورةً كل يوم أكثر من الذي قبله

كنتُ بوجهٍ شاحب لا أستطيع النطق حتى بحرفٍ واحد

ذهبتُ، وكل خطوة أتقدمها أريد الرجوع خطوتين إلى الوراء

حين وصلتُ رأيتُ رقم غرفتي (3)، وكأن الذكريات لا مفرّ منها حتى هنا.

وأمي دموعها انهمرت كالنهر وهي تودعني

وأنا جامد، لا أستطيع التكلم، فقط أنظر بنظراتٍ مصدومة

جلستُ على سريري وكانت كل الغرفة بيضاء

ردّدتُ: منذ سنةٍ وأربعِ شهور لم أعرف طعم النوم الجيد

نومٌ مقطّع وأيامٌ ثقيلة على قلبي.

ثم عاد الضوء الأزرق، لكنه هذه المرة كان مختلفًا عن كل مرة.

أغمضتُ عيوني قليلًا وذهبتُ إلى عالم لم أرَهُ في عالمنا.

شعرتُ براحةٍ وامتنانٍ لتلك اللحظة، وفرحتُ.

كان الأولاد كلٌ منهم يلعب بلعبته،

وصديقي رامي حيٌّ نتمشّى أنا وإياه على دروب الفرح ونضحك ضحكًا لم نضحكْه منذ سنوات.

وعرض عليّ أن نذهب إلى نفس البيت، وذهبنا.

وحين وصلنا أضاء اللون الأزرق وبدأ بالضحك ثم ضربني على رأسي.

ثم عدتُ إلى واقعي، حينها أدركتُ أن لا مفرّ من هذه الأيام، لا بالواقع ولا بالخيال.

ردّدتُ هل أستطيع يومًا أن أخرج من تلك الدائرة الضيقة التي أنا فيها الآن؟

فردّ صوتٌ في أذني لا أعرف من أين وقال لي في 6 الشهر.

قلتُ له ماذا يوجد في 6 الشهر؟ قل لي اختفى

وما زلتُ أنتظر 6 الشهر بفارغ الصبر حتى الآن .

التّاريخ يعيد نفسه

الكاتبة: آلاء ملندي

هل يستحق الفتى في عز شبابه أن يعيش حياة كهذه؟

هناك شاب في سن الرابعة والعشرين، ذو ملامح لطيفة، ولحية سوداء كسواد الليل، ووجه بريء يضيء نورًا. دخل كلية التمريض وتخرج منها حديثًا، فتوجب عليه البحث عن وظيفة. فذهب إلى مستشفى المدينة، وعندما دخل فوجئ بما رأى...

كانت المستشفى مزدحمة للغاية، في حالة من الفوضى والتأزم الشديدين. كل شيء هناك كان مثيرًا للدهشة.

وهنا ركض مسرعًا متجهًا إلى مكتب مدير المستشفى. وعندما دخل، لم يجد أحدًا داخله. وقف يبدأ في مشاهدة الأشياء التي توجد فيه، فوقع بصره على لافتة مكتوب عليها: "المدير أمجد الأحمد". وعندما قرأها، دخلت الموظفة فقالت له: "من أنت؟ وماذا تريد؟"

التفت بدهشة وقال: "الممرض أنور الأمين، أتيت لأكلم المدير."

الموظفة: "المدير! للأسف... لا يوجد مدير لهذه المستشفى."

الممرض: "والمدير أمجد... أيعقل أن عيناي تكذبان عليّ؟"

الموظفة: "لا، ما رأيته صحيح. هذا المدير كان ذا أخلاق حميدة وقلب طيب. أدار هذه المستشفى بشكل رائع، وكانت من أفضل المستشفيات على مستوى المدينة، وكُرِّم على أنه أفضل مدير على الإطلاق.

وللأسف... في يوما ما دون سبب، كان في مكتبه يضع توقيعه على الورق الخاص بالمستشفى، فخرج من مكتبه مسرعًا، وانتظرناه أيّام ولم نعلم عنه شيء، أكثر ما نعلمه على أنه تُهم الهوس الزمني وهو الآن في المستشفى المجاورة."

الممرض: "يا للعجب! قصة تثير الدّهشة، كيف حدث هذا؟!

وما السّبب الّذي جعله يغادر دون أي مبرر أو قول سبب؟!"

الموظفة: "نعم، إنها قصة عجيبة وحزينة في آنٍ واحد، لم يكن هناك أجوبة لكل ما حدث معه، حتّى أنني لم أراه من ذلك اليوم"

الممرض بملامح حزينة: "شيء حزين أن يحصل هذا مع مدير وإنسان كهذا"

"ألم يحل محله أحد؟"

الموظفة: "لا، بل هناك طبيب ناب عنه"

الممرض: "شكرا جزيلا على الوقت الذي قدمتيه لي"

الموظفة: "هذا واجبي يا حضرة الممرض"

ثم لفت ظهرها الموظفة وخرجت من المكتب، وبقي الممرض غارق في التّفكير، وفجأة دخل طبيب وسأل: من هنا؟

التفت الممرض وقال: "أنا الممرض أنور الأمين، ومن أنت؟"

الطبيب: "أنا طبيب القلب، نائب المدير السّابق، ماذا تريد"

الممرض: "تخرجت من كلية التّمريض حديثًا، وجئت لسبب الوظيفة"

الطبيب: "هل تملك شهادة"

الممرض: "نعم"

في تلك اللحظة أعطى الممرض الشّهادة للطبيب وبعد قراءتها، قبله كموظف في هذه المستشفى

وبدأ الممرض بالعمل فيها، ويوم بعد يوم، مرّت أيّام ولياليي، أسابيع وشهور...

حتّى وجد نفسه جزء من هذه المستشفى، لقد تمكن من التّغير فيها بشكل كبير.

إذ ساهم في ترتيب الغرف بعد كثرة الفوضى العارمة التي كانت تحدث، وتقسيم المستشفى إلى أجزاء، كل جزء يختصُّ في مرض، وهذا ما أدى إلى تطور المستشفى بشكل رهيب، بعد كثرة المشاكل فيها ، وإضافة غرف خاصة لأهالي المرضى الذين كانوا يشعلوا الازدحام الخانق ، و إيجاد أطباء جدد، والمعدات النّاقصة، و هذا ساعدة على التّكامل والتّآخي الدائم،

لكن لم ننسى أنّها مسؤولية كبيرة، على الشّاب أنور، الّذي أعاد المستشفى كما كانت منذ القديم، الممرض وحده من تمكن على إعادة تلك المستشفى، و وقوفها من جديد، إذ لم تخسر لقب أفضل المستشفيات في المدينة، وبعد تعب وجهد من قبل هذا الممرض، صاحب الوجه البريء .

جاء الطبيب الملقب بنائب المدير،

وقال للممرض: "أود أن أعبر لك بشكر خاص و امتنان لك، على كل ما قدمته من دعم وعطاء وتعب وجهد."

الممرض: "هذا ليس واجبًا، بل شرف لي أن أكون قادرًا على المساهمة. "

كل عمل قدمته كان نابع من القلب، إذ أصبحت هذه المستشفى جزء من الرّوح"

الطبيب: " لا أنسى اليوم الّذي جئت فيه، ولم أندم على استقبالك في هذا المستشفى، أنت حقًا لم تكن ممرضًا فحسب، أنت نعيم وخيرٌ"

الممرض: "شكرًا على كلامك اللطيف الّذي يغمرني بالقوة و السّعادة"

الطبيب: "أنا هنا ليس لسبب الشّكر فقط، بل لأطلب منك طلب خاص وعام في آنٍ واحد،

هل يمكنني...؟ "

الممرض: "بالطبع يا حضرت الطبيب"

الطبيب: "أقدم لك عرض لتكون مديرًا لهذه المستشفى، أنت وحدتك تستحق هذا المنصب، وأنا على يقين وثقة، بأنك قادرًا على ذلك وبكل سهولة"

الممرض: "أليس أنت أحق في هذا؟

أنا هنا ليس لألقب باسم المدير، يكفيني أن أشاهد هذه المستشفى مستوفة جميع حقوقها"

الطبيب: "لا، أنا أعرض عليك هذا دون تردد أو خوف، أريدك أنت ومن بين الجميع، وأود أن لا تردني خائبًا"

الممرض: "أفهمك بلا شك، وأنا معك ومستعد بتلبية كلّ طلب تطلبه دوما متى شئت"

الطبيب بروح حماسية: "لا يمكنني شرح كمية الفرح والسّعادة الّذين غمراني في قرارك هذا، وأنا أؤكد لك، بأنك لم تندم على هذا القرار"

الممرض: "أنت تستحق كلّ فرح، وأدعوا ألّا يخدشك حزنٌ قط"

بينما الأيّام تمضي، والفصول تتقلب، بدا عام على منصبه، إذ كُرِّم الممرض كأفضل مدير في المدينة.

لقد أثرَّ على الكثير...

و وقف بجانب الجميع...

الممرض ذو الملامح البريئة، أصبح مدير لمستشفى أكبر وأفضل المستشفيات.

«أخذ لقب كبير ككونه بعمر العشرينات، لكن ليس كبير ككونه هو»

هو الّذي لم يقف مكتوف الأيدي، يشاهد المستشفى في أسوأ حالاتها، بل وقف شامخًا وبكل قوة.

حتّى وصل لمكانًا لم يحلم أو يطمح به، لكن قدرًا له أن يأخذه.

«أحيانا نحلم بأشياء بسيطة، بينما الحياة تأتي بنا بأشياء ثمينة»

_لكن الحياة لم تنتهي، لنحكم عليها في يوم وليلة أو أسبوع أو شهور أو أعوام.

هُنا في يوم عابرٍ كان الشّاب "*المدير*"،

يستلم ظروف، و ورق ويضع عليها توقيعه، وإذ بورقة مكتوب بخط يده، تحذره من المستقبل، تُبين له بأن هناك أشياء خطيرة لم تحدث بعد، لكن حدوثها سيقلب حياته رأسًا على عقب.

بينما كان أنور يوقع عل الورق، و يعمل على تطوير المستشفى، جاءت هذه الورقة وحولته لإنسان غير طبيعي، تغيرت ملامح وجهه، نبضات قلبه، رجفة يده...

تساؤلات اخترقت دماغه

"ما هذا؟ "ما المقصود؟"

خرج من المستشفى مسرعًا دون إخبار أحدًا، ولم يدخل المستشفى من بعد هذا اليوم أبدًا، ، ولم يعلَم أحدًا عنه شيئًا...

وبعد فترة من الصّراعات الدّاخلية، واللحظات الزّمنية الوحيدة،

أصاب الشّاب أنور بالهوس الزّمني، الّذي تسبب له بالذّهاب إلى مستشفى الأمراض العقليّة، والجلوس بجانب المدير القديم «أمجد الأحمد»

هناك تساؤلات؟

هل هذا المنصب ملعون؟

هل هناك سرا خفي؟

أم أن هناك شيئا مرتبطا بين أمجد وأنور؟

النـهاية

الكاتبة: إسراء فراس المحمد العلي

ماهي النهاية، وهل سنجدُ ما يُلئم جرحنا في هذه الحياة البائسة المُحطمة للآمال؟

أجلس على شرفةِ النافذة أحتسي قهوتي الصباحية مع تلك الكتب التي اعشق رائحتُها.

أبتسم كُلما نظرتُ لها وأصابني شغف بأن أقرأ ما لم أقرأ من الكتب.

تتلهف روحي إلى حُبِ الورق، وغلاف الكتب، أجلِسُ ليالٍ طوال أقرأ فيها، الروايات الحزينة، والسعيدة.

أتلقى السطور بشغف وأبتلع المفردات اللغوية من بين السطور المكدسة في الورق.

يمُرُ يومي بين جدران منزلي السعيد الذي بناه أبي منذ الصغر بحب بعضنا البعض ودائماً كان يقول لنا:

كونوا سنداً لأنفسِكم فلا أنا دائمٌ ولا أنتم مخلّدون

تأملوا بالريح التي تضرب مسعانا كل يوم ولخّصوا آلامُنا كي تبنوا عليها منزلاً من الحب العارم، والروح الجميلة.

انظروا إلى أحلامكم وكأنها نجومٌ ساطعة، يشتد لمعانها عندما تنالوها.

تتركوا أثراً لطيفاً بين المجتمعات ومَنْ حولكم، كونوا أوفياء حتى للذين يغدرون بحُبِكُم.

لعل قلوبكم ما تلقى الشقاء، لعل صدوركم ما تُكدس الألم.

دائماً يدور في رأسي حديث أبي في قديم الزمان الذي يحمل الحنيه العارمة، والوعي منذ الصغر، كان يحرص أن يُربنا على الأحلام الكبيرة وأن ننالها حتى ولو سقطنا ألف مرة، وأن يُزرع الحُبَ في صدورنا حتى

لأبسط التفاصيل التي نعيشها في جوار من نُحِب، أن نتقبل الجميع، من الآراء والأحكام، والكلام.

كانت ملامح أبي لا تُنقشُ على الأسطر والكُتبُ التي أقرأها

أفتش، وأبحث بين السطور لعلّي أُصادفُ شخصاً كأبي في الحنيه والتفاصيل التي يحملها داخل قلبه.

التجأُ إلى أمي ونتشارك في عمل المنزل المليء بدفء العائلة دون برودٍ من أحد.

وإلى أختي الشقية التي كانت دائماً تعبثُ بمكتبتي الصغيرة.

وإلى أخي عندما أحتاج أن أستند، وأن يُزرع الحُبَ داخلي من جديد.

كانت عائلتي تحملُ الحبُ في جميع أرجاء المنزل، حتى أصبحت أرى الحب يشع من منزلنا ليلاً.

في ليلةٍ بدأت في كتابٍ جديد لمؤلفة المجهول..

كيف لكتابٍ أن يكون مؤلفهُ مجهولاً لا ينسبُ روايته لوطنه؟

تتدور في رأسي أسئلة كثيرة..

كيف؟!

ولماذا؟!

ومن هو؟!

أصابني فضولٌ عارم أن أقرأ الكتاب الذي يحمل غلافاً يجذب الروح والجسد.

أبدأ بتقليب صفحات الكتاب أشتم رائحةَ الورد!

إنه من الصفحات اللامتناهية...!

وكيف لكتابٍ أن يكون ممتلئ من الصفحات الأولى وخالي من النهاية؟

نعم إنه كتابٌ صفحاته الأخيرة غير مدونه، غير مُكتملة، ولا يحمل نهاية.

مقدمة الكتاب المجهول ..

إلى مَنْ تحملُ قصةَ هذا الكتاب، وإلى الفتاة اللامعة بين أصدقائها وأسرتها المُتحابة.

إلى مَنْ أراها دون أن تراني، وأسمعها دون أن تسمعني.

إلى التي لفت انتباهها الكتاب الآن.

هذا الكتابُ لكِ.

(يشتد الحماس داخلي أبدأ بقراءة الصفحة الأولى التي كانت تحمل تفاصيل عيناي وشكلي..!).

كانت فتاة تُشبه البحر، ينظر إليها البعيد فيرتوي، والقريب فيُغرمَ، تُبحِرُ في جوفها المليءُ بالحنان الملهوف، والروح الجميلة.

تحملُ العيون الخضراء اللامعة، ووجهاً حنطي اللون يجذب من ينظر إليه من المرةِ الأولى.

معتدلة القامة، فاتنةُ الشعر.

ابتسامتها المعتادة داخل شفتاها تغرق بعسل الكلام المنقوط.

وغمازتها الداكنة عندما تبتسم تكاد أن تُدفنُ الحيّ وهو يُحادثُها، وتبتسم!.

ترتدي أجمل الفساتين الملونة من الألوان الزاهية التي تجذبُ الأنظار.

خزانتها لا تحملُ لوناً داكناً ، كقلبها البرّاق.

(أُسارع لِفتح خزانةُ ملابسي، ليست تحمل الألوان الداكنة، أيُعقل أن هذا الكتاب كُتبَ من أجلي؟

مِن، مَن؟ وكيف يعرفُني؟)

"تبدأ بالشك نحو هذه التفاصيل الداكنة، وتستمر بالقراءة.."

أتذكُرين الحب الأول الذي سكن قلبك؟!

مَن يكون؟

إنه ابن المعلمة الذي يكبركِ بسنتين.

والذي كان ينال الأول على مدرسته كل سنه.

أتذكرين هذه التفاصيل البسيطة التي ما أحد عَلِمَ بها؟

شرود ذهنكِ العالق في جدار الصف، والأحرف التي نقشتِها على المقعد في آخر امتحان.

"تعود ذاكرة الجميلة إلى أيام طفولتها"

(ابن المعلمة الذي يكبُرني بسنتين، والأحرف المنقوشة!!!

كيف لهذه الأشياء أن تُكتب ولم أبُح بها لأحد؟)

"تترافق قراءتها أسئلةٌ عميقة لا تُجيد إجابتها"

الحادث الأليم الذي نالته أمكِ عندما كانت تُحاول إنقاذكِ

الغرق لابن الفقير عندما حاول إنقاذكِ

الكسر ليد أبيكِ عندما حاول إبعادكِ

التفاصيل الصغيرة التي نُقِشت داخل صدركِ وتحولت إلى كتابٍ مجهول الشخصية لا يحملُ اسما ولا عنوان.

صفحاته اللامتناهية تحمل حياتكِ السعيدة والحزينة، وبمجرد قراءة الكتاب ستبدأ الصفحات تقلب نفسها بنفسها وتدوين أحداثها دون استئذان.

"تشعر ذات العينان اللامعة بالرجفة داخل قلبها، تُغلقُ الكتاب وتبتعد عنه، أصواتٌ تُسمعُ حولها ولا أحد سواها يسكن الغرفة، أصواتٌ مرعبة تبدأ بالحديث معها"

الحادثُ الأليم الذي نالته أمكِ عندما كانت تُحاول إنقاذكِ.

كانت أُمي تذهب بي إلى المدرسة كل يوم خوفاً عليّ من الفقدان، وفي يومٍ تماسكت القوى داخل صدري وأردتُ أن أقطع الشارع الذي يفصِل بيننا، دون التفاتٍ ولا إدراك، رأيت الدماء في أرض الطريق تسيل وتتدفق من الجسد المدمى الذي نال صدمته عني، قذفتني أمي عن سيارة الأجرة الصغيرة ابتلعت أطرافها ضربة جزاء.

الغرق لابن الفقير عندما حاول إنقاذكِ.

ذهبنا إلى شاطئ البحر بالعطلةِ الصيفة لينال الجميع راحةً مؤقته، ألعبُ على شاطئ البحر ولا أعلم كيف ابتلعتني الأمواج إلى داخلها دون أن انتبه للأمر، يُسارع ابن الفقير الذي يجلس بجانبنا، ويلقي بنفسه في البحر العميق لكيْ يُنقِذَ روحي التي كادت أن تخرج بعد بضعِ ثوانٍ، مسك يدي وحاول أن يقترب بي إلى شاطئِ البحر ويقذفني هناك، قذفني على المياه الباردة واسترجع خُطاه ودون سحبٍ من أحد سُحِب إلى أسفل الأعماق، حاول مناجياً الصُراخ للإنقاذ، انفلتت اليدان وقُذفَ على شاطئ البحر يتنفس.

الكسر ليد أبيكِ عندما حاول إبعادكِ.

في العمر الخامس عشر من الأيام التي مضت وكانت تحمل سنواتي كان عمري خمسة عشر عاماً، أكبر في أيلول الجميل.

أذهب إلى المطبخ لأُساعد أُمي في طهي الغداء، تُمس النار ما ارتدي من الأكمام العريضة، التهمت النار يدي، وسرعان ما أتى ابي ليُطفأ النار، وإبعادي.

كُسِرت يدُ أبي من اللاشيء.

وها هي الآن يدي اليُسرى تَحمِلُ لسعة النار التي كادت أن تلتهمَ قلبي.

"تسمعُ الاصوات الغريبة في شارع منزلها، في أطراف غرفتها الدافئة، وتظن أن الأصوات من الخارج، وأن الأشخاص عندما يمرون يتحدثون بأصواتٍ مرعبة ومختلفة".

(حملتُ كتابي واستلقيتُ إلى فراشي، وأكملتُ قراءة الكتاب المجهول).

أتذكرين فُقدانِ الذاكرة التي نالته شقيقتُكِ عوضاً عنكِ؟

أتذكرين الروح التي خرجت وكانت المفروضُ أنتِ؟

(يحمل الكتاب قصصاً ما أحد علمَ بها سواي!

كيف لأحداثٍ أن تُكتبَ دون الحديث عنها حتى؟)

أُذكركُ بالماضي الذي عشتيه خائفة، من نفسكِ من أن تكون سبباً في دمار أهل منزلك ومَنْ هم حولكِ.

صديقتكِ التي كُنتِ تحملين لها الحب والعطف تكديساً في قلبكِ أما زالت بصُحبَتكْ؟

أم أنه بعدما أيقنت نحاسةُ عيناكِ ذهبت وابتعدتْ؟

(كتابٌ يكتبُ الأحداث التي شهدتها في طفولتي وحتى الكِبر، دوّن أشلائي البعثرة داخل صدري، كيف لكتابٍ أن يكتبَ نفسه بنفسه؟)

حتى نضجتِ ونال الحب العميق من صدركِ المغلق..

والأضلع الملتحمة مع بعضها البعض دفاعاً لِبُعدِ الحب عن القلب.

وقعتِ في حُبِ ذاك الاسمر الجذاب المميز، الذي يحملُ روحاً نرجسية تُحاربُ الجميع على الصح إذا كانت هي الغلط.

حتى نال الحب العظيم من فؤادكِ في جامعةِ أحلامكِ العظيمة.

التي حلمتِ أن تريّ شخصاً حنوناً كأبيكِ يحتضنُ داخلكِ.

وقعتِ في حبِ النرجسيّ ..

حاملُ جمال الوجه، والعيون البُنيةِ اللامعة تحت ضوء للشمس التي تَحدقُ في لون عينيه، فيغرق الناظر فيها.

صاحب الإطلالةُ الجذّابة والوجه الوسيم المُبتسِم.

إنه اسم على مسمى ..

ذي طلةٍ عارمة في الجمال.

طلال.. ذاك الشاب الذي نقش على فُؤادُكِ نقشة الحب المؤلمة الممزوجة بالحرمان.

بعد أن كُنتِ شابة تحملُ روحاً طيبة، تحتضنُ من حولها بالحنية العارمة، تُصبحُ روحاً باهته بعكس اسمها تماماً.

يُزهر المكان لذكر اسمُكِ وأنتِ ذابلة، تُنعَشُ الارواح لوجودكِ وأنتِ ذابلة..

"زهرةٌ في حديقةِ منزلِ أبيها يسرُقها شابٌ بطلةٍ جميلة".

(الأصوات مازالت تُحاوطُني، أشعر أن روحي ستخرج قريباً..

كيف له أن يكتبَ قصة حبٍ لا أريد تدوينها حتى على ورقٍ محروق، وكيف أستعيد ذاكرتي لأحذف هذه الاشياء)

أقع في البُؤس اللعين المُنذوي ..

أحمِلُ داخلي آهاتي وكُتُبي..

في اليوم الأول في جامعة أحلامكِ العظيمة.

تُعجبين بمظهر الجامعة، تذهبين إلى المُدرج والقاعات، جلستِ لمدةٍ طويلة وانتِ مليئة بالسعادة داخل صدركِ.

بعد أيام وأيام وبشأن روحكِ المرحة والقلب الذي يحمل داخله قسطاً من السلام، أصبح لديكِ صديقاتٌ جميلات.

وبعد أيامٍ أُخرى وأيام أصبحت أصدقائُكِ تكثر بفتيان.

حملت صداقتكِ ذكوراً وإناث.

كانت شلةٌ من الهضامةِ والسعادة والحنان.

تحملُ داخلها..

العفوي الرفيع ذي الوقار الملحوظ، إنه صاحبُ الضحكةِ الصاخبة والوجه البشوش، يامن

وصاحبةُ المطعم، السيارات، والطموح العالي بأنها ستُصبح مشهورةٌ في الأيام، أسماء

وصاحب النظرة البريئة والمواقف الجديّة، وحاملُ السلام والأمان لِمن حوله، إسلام

والنرجسيّ القاتل صاحب السمو الملكي والأمير المفقود، طلال

حاملةُ حب الفن والأزهار الملونة، الحب، والأمان لِمن حولها، أفنان

كئيبةُ الروح تحلمُ كل ليلة بالموت وتشعر أنها شبحٌ يعيش بين المجتمعات والأصدقاء، فريدة

وانتِ، صاحبةَ الوجه البشوش والضحكةَ الصاخبة، حاملة لجميع من حولكِ في الحزن والعافية، زهرة

باقةٌ من الأزهار شلتكم كانت، تحملُ جميع الأصناف الأميال للأشخاص.

فمنهم من يتمكن بلغةِ الحوار،

ومنهم من يميل إلى تفاسير الروح،

ومنهم من كان سبباً في ابتسامةِ الغير.

تحملون كماً من الاختلاف..

كيف اجتمعتم وما هي الأسباب؟

(الأسماء، التفاصيل، الصفات، كيف وصلت إلى هذا الكتاب؟،

إنهم أصدقاء جمعتي العظيمة كيف لهم أن يتسربوا في كتاب؟)

"تغرق زهرتنا في التفكير ودون هزٍ تلتهم النوم من الشرود الأول"

في الصباح:

(زهرة: صباحُ الخير أمي، صباحُ الخير أبي، صباحُكم أيها الأشقياء

تبتسم والدتُ زهرة: صباح الخير أيتها الجميلة.

والدها مُتبسماً: صباح الخير زهرتي.

تذهب زهرتنا إلى عملها القليل، بعد أن تناولت الفطور مع عائلتها الممتلئة بالدفء المُعاش).

"تنتهي زهرة من العمل في تمام الساعة السادسة مساءً، تذهبُ إلى منزلها تتناول الغداء المُتأخر وتذهب إلى غرفتها العتيقة بالحب، تبدأ بقراءة الروايات وإنهاء ما تبقى من عملٍ لها

تلتقف زهرة الكتاب وتجلس تبدأ بتقليب الصفحات أين أوقفتُ قراءتها!"

تستقبل الصفحة المتوقفة ..

الثالثة منتصف الليل..

صوت دعساتٍ قريبةٍ من الغرفة المظلمة.

يُفتح الباب بِكُلِ هدوء، بخطواتٍ خفيفة على الموضوع، شخصٌ ذي ظلٍ لا يرى، ذي صوتٍ لا يسمعه سوى القليل.

اقترب منكِ،

يرى وجهاً بريئاً يكاد الجمال يخرُجُ منه، يقترب من أذنكُ ويبدأ بالهمس...

(بدأت ذاكرتي بتذكير ما حدث، والتفاصيل التي كُتبت في هذا الكتاب الملغوم، التفاصيل، الطريقة، استرجع الحديث الذي دار بين صاحب الصوت الذي لا يسمعه سوى القليل وبين أُذني..)

سيأتي يوم.. وأنال هذا الجمال كُله بيدي، وستُصبحين أميرتي، وتأمرين الجميع وأنتِ منسوبةٌ على إسمي أميرةُ الجان أنتِ، وستكونين أميرةَ قلبي.

(إنه الحديث عينه كيف يمكن لكتابٍ أن يسمعُ؟)

(بدأتُ أُثير الشكوك حتى إلى نفسي، ومن نفسي، أصبحت أخاف أن ابقى وحدي بين أفكاري، وكُتُبي، مازال السؤال في قلبي وذهني كيف لكتابٍ أن يكتبَ نفسه؟؟؟؟؟؟)

أتذكرين هذه الحادثة التي شعرتِ حينها أنكِ قد أُصبتِ بالجنون المُبكر، وعندما تحدثتِ لوالِديكِ وقالوا لكِ أنكِ تتوهمي وهذا شيء خرافي؟

أتذكرين المرآة التي كُسرت وكان ذاك الشخصُ هو السبب؟.

أصبحتِ ترينهُ بكل مكان، في الخزانة، في المنام.

وعندما تحدثتِ لنفسكِ وثُرتِ شكوك عائلتكِ بأنك أُصبتِ بعظمةِ الجنون والطغيان، وسارعوا إلى الطبيب النفسي الذي حولكِ إلى المصحةِ دون تفكير.

وهُناك بدأتِ بالصراع الداخلي، والجسدي، والروحي، وبدأتِ بمقاومةِ العلاج، ومُحاولة تفهيم الأطباء أنكِ عاقلة.

(لاااااا، أصرخ بصوتٍ عالٍ مليء بالدماء، لا، لا، لا أريد تسريب هذه الأحداث من حياتي الماضية، لا أريد أن يعلم أحد أنني مُصابه بالهلاوس الشيطانية، لا أريد أن يعلم أحد أنني أتحدث مع شياطين الأرض وأتحالف معهم، تُزرعُ في عيني دمعةٌ تشق طريقاً إلى خدي الملتهب، امسحها بطرف يدي وأُكمل مسعاي).

هلاوس المصحة النفسية والبُعد عن الناس، والأهل، والأصدقاء، ليس كما كنتِ تظنين أنه راحةٌ نفسية، إنه مرض، بقيتِ مُصابة بالهلاوس الشيطانية، والمنامات المُرعبة، حتى بدأ مَنْ هم حولكِ الخروج من حياتكِ البائسة التي سوف تتحطم من الشياطين المائلة.

حديثُ أبيكِ عنكِ بأنكِ مُختلةٌ عقلية، وأنه يُصاب بالهرع عندما تقتربِ من أخويكِ.

وأُمكِ الكاذبة التي روت لأقاربكِ أنكِ خارج البلاد تُكملين دراستكِ وأنتِ ذابلةٌ على وسادةٍ مليئة بالأحلام المدونة بالحقد، والكراهية.

يُقفلُ الباب في وجهكِ خوفاً من هروبكِ وأنت مُختلة وتثيري للشفقة على أهل بيتكِ.

(أقرأ وعيناي مُغمرة بالدموع، لا أريد الأحداث أن تتسرب أكثر من ذلك، إنه يُؤدي إلى دمار روحي ورُبما هلاك جسدي من جديد).

"شعورٌ بارد عندما يجتمع الجميع على المائدة، وتبقي بانتظار شخصٍ يُنادي باسمك"

كم مرةٍ أُهملتِ من الجميع ولم يُشاهدوا وجهكِ لأسابيع؟

كم مرةٍ صفعت أُمُكِ الطعام في وجهِكِ خوفاً من الفقدان العقلي الذي تُمارسيهِ عليها إذا اقتربت؟

كم مرةٍ كنت الضحية؟

فإذا أنتِ الضحية فمنِ الجاني؟

سؤالٌ راودكِ فترةٌ طويلة..

كيف لي أن أرى شخصاً لا يُرى، وأسمع صوتاً لا يتحدث صاحبه، وأرى أشياء لا أحد يُمكنُ أن يراها؟

حينها أدركتِ أن عقلُكِ ليس بالسليم الكامل، وليس صالح بأن يُكمنُ داخلُ عائلة.

بادرتِ بالتكلم، لكن لا أحد يستمع..

انتظرت الطعام لِتحدُثَ مع أمكِ، لكن لا تسمعكْ

أبيكِ الذي وصفتيه بالحنون الملتئم، لا يرى لمعةُ العقل في عيناكِ.

نعم ..

كيف ذهبتِ إلى المصحة العقلية مُجدداً؟!

بعد أن التهمتِ كماً من الأسئلة دون الجواب،

وبعد أن نال السؤال بينهم حيزاً من صوتكِ،

سمعكِ العاشق الولهان،

أمير الجن والمنام.

يأمر الجن أن يذهبوا بكِ إلي المصحة العقلية دون استئذانٍ من أحد.

كأشخاصٍ هم حولكِ يُدونون الطلب، طلب القبول إلى المصحة العقلية، يُكتبُ اسمك في الفراغ الأول الذي نُلتِ منه كسرة القلب الثانية بعد ذاك الشاب.

يُدون تفاصيل روحكِ وحكايتكِ القصيرة على ورقة مُسطرة.

فقدتِ الشغف حينها واستسلمتِ لأمرٍ عظيم ليس بيدكِ فعلاً لإيقافه.

"لم يُلاحظوا أهل منزلك بالفقدان".

استراح عقلهم من التفكير.

بعد أن كُنتِ شابةً تحملُ روحاً مُزهرة أصبحتِ فتاةٌ داكنة، تحمل الألوان الداكنة بين أضلعها، وتعشق رائحة الدم، ورأيت الجُثث.

استمرت هذه الأحداث بالتناوب، حتى شاء القدر أن يُخرجكِ من هذا القفصِ المُغلق.

تمشين بأقدامٍ مشلولة إلى منزل أبيكِ، عُدتي إلى عقلكِ الكبير الذي يحملُ التفكير.

استغرب والديكِ باللقاء، كيف لشخصٍ أن يملئ مكانين؟

تهرول أمكِ مسرعة، تُداهم غرفتكِ الباردة، لا زهرةٍ بقيت ولا روحاً استفقدت.

(أُحاول أن أنسى ما مضى، لِما علي في كلِ ليلةٍ تذكر ما حدث، لِما علي أن أعيش بين صراعٍ جسديْ وفكريْ؟، لِماذا كُتبَ لي أن أكون هنا أُحارب نفسي من نفسي الأليمة، الموحشة، التي تحمل داخلها لِداخلي خراب).

"وما باليد حيلةٌ إذا كانت الروح تريد أن تتكئ

والروح إذا طلبت أمرت

العقل إذا رفض نهى

والقلب إذا أحب أُعمي

الروح تطالب الاتكاء قليلاً"

أتعلمين أيتها الجميلة..

أميل إلى أن أودي بكِ إلى المصحة، فهناك جدران اشتاقت للبكاء ليلاً، وأصدقاءٌ يصفونكِ بالمهووسة، ليس عيباً أن يستشارُ الشخص طبيباً مختصاً بهذه الأمور، أليس كذلك**!؟**

(استيقظتُ أشعر أن روحي تتفتت داخلي وأني هنا لست بمكاني، أمشي بخطواتٍ مترددة نحو ملابسي الزاهية، أنظرُ إليهم باشمئزاز حول جميع الأشياء، أرتدي ذاك البنطالُ الأسود، مع تلك الكنزةُ الفاتحة، خرجتُ من منزلي وروحي تنطفأ أشعر بالهذيان نحو ما أنا عليه، والاشمئزاز بما أرتدي، ولِمنْ أذهبُ حاملة كتابي بين أكفي أمشي الهوينى ولا ألتفت، باصُ النقل الداخلي يقف..

أسرع في خطوتي لأصعد وأسترحْ..

أجلسُ في ذاك الباص المقت، أفتحُ كتابي أقلب صفحةً من صفحاتِ حياتي، وابتسم، إلى الطفل إلى العجوز، سرح عقلي الداخلي في شباك النقل، الناسُ والجدران، السيارات والبيوت

كماً من الطبيعة الخلابة التي تُذهلُ الأبصار أمامي، لكن، لست منذهلة.

"أحمل خيبةً على كتفي الأيمن، وكسرةٌ على الأيسر، أيُّ طبيعةٍ تُسعِدُني؟"

(أسترجع قوى عقلي المهمش إلى الكتاب، أفتح الورقة التي تُكتب الآن).

ستذهبين إلى ذاك الطبيبُ النفسي الذي حاربتِ عائلتكِ في الزمان بألا يأتوا بكِ إليه وتنظُري إلى من يُخطي عتبةَ باب العيادة بأنه مريض..

ها أنتِ ذا..

ذاهبه برضاكِ دون رجعةٍ، دون لقاء، ستذهبين بعدها سريعاً إلى مكانُكِ المُناسب والذي يُناسب مسعاكِ، وتشعرين حينها أنه لا فائدة لوجودِكِ هنا.

"ستتهمشين على الأغلب.."

في منزل زهرة..

تصرخ الأم: زهرة، زهرة

لا أحد يسمع.. لا أحد يأتي، تذهبُ إلى غرفتها.

تفتح الباب بهدوء تشكُ بأنها نائمة..

"لا أحد هنا، لا أحد يستجيب"

تُهرول مسرعة إلى زوجها

زهرةٌ، زهرة

الأب: ماذا لِما هذه الأصوات!!

الأم: زهرة، ليست بغرفتها ولم تُخبرني أنها ستخرج إلى موضعٍ اليوم

بلهفةٍ حارقة تخرج هذه الكلمات من جوف الأم.

لكن والدها أدرك أنها لن تعود..

فحدس الأب كان في أغلب الأوقات لا يُخطئ..

نظر إلى الأم وابتسم، وقال: لا تقلقِ إنها بخير.

(وصلتُ إلى مُعالجي الجذاب، الذي سيودي بي إلى المصحة، كيف لشخصٍ تكاد الحنيه تخرج من عيناه أن يسير بي إلى هناك!

"تسأل نفسها زهرة"

لا تُجيبُ على السؤال..

تطرق الباب، وتدخل

زهرة: مرحباً

الطبيب: أهلاً زهرة

زهرة: كيف حالك أيها الطبيب

الطبيب: الحمدلله، ما بك أشعر أنكِ لستِ بخير

"تتداخل مشاعر زهرة ببعضها البعض حتى انفجرت بالبكاء الأليم، بشهقةٍ من الجوف العميق"

زهرة: بكَيْتُ حتى كاد جوفي يَخرج، أشعرُ أنها المرةُ الاخيرة التي سأنال فيها هذا الكم من البكاء، فأخذتُ قسطاً من الطمع في أن أُألم عيناي، أن ابكي دون توقف، أن أستنشق رائحة المصحات النفسية، وأنال العلاج المُبكر داخل هذا الجسد، أن أرضى بأن تُكتَبُ حياتي دون استئذان، وأن أحمل كتابي وآتي به كما أمرني..

الطبيب ينصتُ إلى ما تحدثت به زهرة، ويتعجب عن أي كتاب!!!

يحاول أن يجمع أشلائها ويستعيد حركته بالسؤال.

الطبيب: أيُّ كتاب!؟

زهرة: تومي إلى الكتاب الذي تحمله بين كفاها صامته، تُملئُ عيناها بالدموع المنهمرة.

يسحبُ الكتاب من يدها ويضعه على رفٍ من النسيان.

يجلس ويبدأُ بالحديث معها.

الطبيب: ليست الحياة جميلةٌ للجميع، فهناك من يُحاول أن يعيش، وهناك من يستسلم بتعجيل، أرضٌ هي هذه الحياة، ومعركة، إما قاتلة أو مقتولة، إما حزينة أو سعيدة، لا تأتي الحياة بالمنتصف، تحملُ لكِ الخيبات والقوة على ذات الطبق.

هناك من يتألم، ويستخرج من محط ألمه قوة، ويُعيدُ بناء عثراته، القوة ليست بما يناله الفرد، بل بِما يستطيع أن يفعله بعد الكسرة، بعد الخذلان، بعد الانتهاء.

"شخصٌ يستعيد طاقته ويبدأ بالبناء".

بناء حياته الجديدة التي رُسمتْ على خطٍ من الآلام، على خطٍ من الذكريات الطاحنة، ويستخرج قواه، إما قاتلة أو مقتولة.

أنتِ الآن مقتولة لن تستطيعِ أن تبني نفسكِ من اللاشيء، وأنتِ ذابلة، استرجعي قوى عقلكِ الباطن، تمكّني من وجودك، والأثر اللطيف الذي ترسمينه على من حولك.

"كوني أقوى في بناء نفسك، فالبناء القديم تصدع، وفي أصعب لحظةٍ هُدِم."

(يكاد الصوت يخنقني، تكاد النبرةَ تقتلني، رأيتُ شخصاً في الخلف يبتسِمُ لي، علمت حينها أني لن أعود)

زهرة: أريد تقريراً بأني لست عاقلة، بأنني أرى أشخاصاً لا تُرى، بأنني أحمل روحاً لا نفع لها.

"تغرقُ عيناي بدمعٍ حارقٍ، تلك التي نالت حلمها ستودعه عند تقريرٍ كاذبٍ."

(خُطَّ التقرير بقلمٍ ناشفٍ، خطَ بشغفٍ قد قُتلْ، يوقع الطبيب بدهشةٍ لِما يخطُ به القلم.

اصطحبتُ الورقة التي حملتْ فؤادي في كلامٍ من كُتب، ذهبتُ بها إلى مصحتي ومكاني الأنسبُ للعقل، أهملت عائلتي التي لم تعلم أني أعيش في جوفاً من الحزن المكبوتِ داخلي من الكُتب، وأصبحت نهايتي هُنا عند أول مجنون مُبتلي بعقلٍ سليمٍ لا يُنسبُ إلى البشر.

وصلتُ إلى مصحتي الجميلة أدخل الباب برجلٍ من اليمين حتى لا أعود إلى الخارج المنجرح، أُقدِم ورقتي على خطٍ من الذكريات، والأحلام المُخطط لها، اقدم حُلمي المُكفن.

في مصحتي لست أنا المقتولةُ فقط،

ودعت حلمي على النظر، ودعتُ روحاً مُزهرة، وأهّلْتُ بروح الفقد.

`الغرفةُ 212..`

غرفتي الجديدة، وعالمي من اللاشيء الأليم الذي سأُحدثهُ كل يومٍ عن حلم).

عند الطبيب..

(يلتقفُ الكتابَ بكسرةٍ، كتابٌ غير منتهي، كتابٍ يُكتَبُ، كاتبٌ مجهول الهوية، قَتل حلمَ فتاةٍ من ألم.

ينظر إلى غلاف الكتاب المُنسحب، يبدأ بقراءة ما يحدث مع زهرة، ستبدأ بالتفكير بالانتحار في أقرب فرصةٍ ستُتاحُ لها ستنغلب.

"يُركزُ الطبيب بدهشةٍ عالية كيف كتابٍ أن يُخَطُ بالعلن!"

يُسارع إلى الهاتف ليتصل إلى المصحةِ التي كتبها الكتاب أن زهرةٌ بها.

الطبيب: المريضةُ زهرة ستقتُلُ نفسها في أقرب وقت، أرجو ألّا تبقى بمفردها لوقتٍ طويل، فتعبثُ الأفكارُ داخلها وتنتحر.

"المُمرضْ يغلق هاتف الطبيب بضحكةٍ صاخبة، كيف لشخصٍ أن يعلم الغيب ويتصل.

يُثير الشفقة على هذه الفتاة، ولا يستجيب لقول أحد".

يتصلُ الطبيب لأهل زهرةٍ.

الطيب بعد السلام:..

أتت زهرة إلى العيادة باكية، تُمسكُ في يدها كتابُ حياتها، وقالت لي: أريد تقريراً يُثبتُ أني لست عاقلة.

وقرأت في كتابها الذي يُكتبُ أن ستقتل نفسها بانتحارٍ ليس له موعدُ.

يصمت الطبيب ليسمع صوتُ بكاءٍ مع شهقةٍ تليها كلماتٌ لا تُفهمُ...

قُتِلت زهرتنا دون سبب، قتلتَ طفلتنا من إهمالك المتكرر لهذا الأمر.

أرجو الله الغفران لروح زهرتي..

سُرقت من بُستانُ قلبي المُنكسر..

بكاءٌ شديد حتى أن يغلق الهاتف..)

"أُريد أن أنسى وأنا كُلي مُحملة بالخيبات من الشخص ذاته

أحمِلُ الذكريات والأحلام المُحطمة

التي بنيْتُ بها كوخاً للضياع

أُريد أن أنسى وكلّي محملة بالرسائل اليدوية المكتوبة بالآلام

أُريد أن أنسى وممتلئة بالخيبات

بالصور القبيحة التي التقطناها دون وعيٍ أصبحت تهدم ما في الفُؤاد

أريد فقط أن يُصيبني النسيان لبعضٍ من السنوات

أن يستريح فُؤادي من الغثيان

من الرُكام المكدس داخلة من الأوهام

أشعر أنني سأموت داخل ذاك الكوخ ولن يعبرني أحدٌ من الأحباب

أريد أن أبقى

أريد أن أنسى

أريد أن اتخطى هذا التناقض داخل صدري ويشعر راسي يوماً أنه بأمان

دون أفكارٍ . .

دون ذكريات . .

ولا أُريد أن أنسى

وأريد أن انسى

كيف للتناقض أن يبقى عالقاً في جثمان..!"

"شهرٌ من الحرمان والكتمان، شهرٌ دون زيارات من احد.

يتردد إلى ذهن زهرة فكرة الانتحار، وبما أنها أثبتت أنها ليست عاقلة وخُط الكلام بالدماء، في ليلٍ قاسٍ اهتزت المصحة بخبر انتحار، انتحار مَنْ؟"

"ينصدمُ الممرضُ مِمّا حدث فكما قال الطبيبُ حدث..

زهرةٌ قتلت نفسها بانتحارٍ ليس له موعدٌ ولا خبر.

يخرج الممرض هامساً لنفسه:

أقاتلٌ أنا؟؟؟

يُخطفُ ممرضنا الغريب إلى الأبد..

سيارةٌ كُبرى دون سائق تصدمه، وتختفي إلى الأبد

يضجُ الخبر بين الصحف والخبر.

قاتلٌ قد قُتِلْ

يُفتح الطبيب الكتاب المُنتهي إلى الأبد خاطِطٌ بخطٍ عريضٍ ما حدث."

فكيف للقدر أن يقتل نفساً عاقلة، وأن يُبلي ممرضٍ بذنب!

كيف لروحٍ تبقى عالقة بما حدث؟، ومثيرةٌ لعلمِ النفس والجسد!

كيف لبيتٍ مسكونٍ أن يخطفَ روحاً من الجسد!

البيت الذي تحدثت لنا زهرةٌ عنه مليء بالحنان والحب المنسدل!

كان مسكونٌ من جانٍ ويتحدثُ مع الأب.

البيت الذي امتلئ بالحب، أصبح مقبرة أحلام لزهورٍ من جسد، أصبح كذبةً صامتة تحدثَ عنها الزمن، أصبح بارداً هشاً، يحملُ داخله الكذِب والخبث.

الأختُ ماتت خوفاً من الحبل الذي يسحبُ أهل هذا المنزل إلى الخفى.

والأخُ اختفى دون علمٍ من أحد.

الأبُ وصلَ إلى المصحة وها هو يسقطُ من النافذة ذاتها.

والأم أهملت عقلها وسارت بين الجميع دون وعيٍ ولا خبر.

فقدت عقلها وسارت بين الجميع دونَ قلبٍ ولا أمل.

طُمست أحلام زهرتنا إلى الأبد، وانتهت عائلةٌ من الأمل.

ليست الآباء جميعها تعلم، وليست الأمهات كلها أمهاتٍ تُكسب.

ليست العبرة في أول الكلام وإنما، بما نأخذُ من المفردات، و الحِكم.

انتهت قصةُ زهرة، ولازال الكتابُ يتداول بين مجلات العرب.

كتابٌ مجهول يسرِق روحاً من جسد

يسرق حلماً من ذهب

يُبعثرُ عائلةٌ في العلن.

"تنهش الذكريات جدار قلبي المعلقة به

تنهش غلاف صدري المنحمي

تنهش عظامي ..

تبدأ بالتفكير ومن ثم تسحبك الذكريات إلى وادٍ من الحزن

تسبح فيه بعمق وادٍ من دمع عينيك الحزينة

وادٍ إذا أتيت لتفتهم ما المفهوم لصفعك صفعة الحب المذلول

الدمع سال والروح تتمزق

الرأس شاب والعمر ينهرم

تنتهش الذكريات من صدري كأنها حلم".

الستار الزجاجي

الكاتبة: بيسان جمال حسون

الفصل الأول: كم مرة عشتِ هذا اليوم؟

السؤال ليس حقيقيًا، بل هو شعور يملأ الرأس، إحساس مؤلم بأنني أعرف كل لحظة قادمة. أعرف كيف سيتسلل الضوء الخفيف من النافذة، وكيف سيتردد صوت العصافير في الخارج بسخرية مألوفة. كل شيء حولي مألوف، لكنه ليس مألوفًا بالقدر الكافي ليكون حقيقيًا. شيء ما يحاول أن يوقظني، ولكنه ليس منبهًا عاديًا؛ هو صوتٌ خفيّ، كهمس قديم، يخبرني أن الوقت قد عاد من حيث بدأ.

لم أعد أعيش في هذا العالم. كان يوم العزاء ستارًا كثيفًا من السواد، فصلني عن كل شيء حولي. منذ تلك الدقيقة الكئيبة التي سقطت فيها روح ساندي، أصبحتُ أسيرة قطعة معدنية باردة. أسيرة الساعة التي ارتديها، وكأنها قيود من الزمن توقف فيها كل شيء ليّ، بينما يستمر العالم بالدوران بسخرية لا تُحتمل.

كانت كلمات المعزين تتدفق نحوي كتيار ماءٍ لا أراه ولا أسمعه، مجرد ضجيج فارغ. لم أستطع تمييز الوجوه. عيناي، من شدة حزنهما، تحولتا إلى عدستين مُغَبشتين، فقدتا القدرة على رؤية الأقرباء والأصدقاء. كانوا حولي كأطياف، كأشباحٍ باهتة تتحرك في ضبابٍ لا ينقشع.

وبينما كنتُ أغرق في هذه الدوامة المُهلكة، أحسستُ بيدٍ دافئة تمسك يدي بعنف يرجوني. صوتٌ مألوف، لكنه بدا أجوف كطبول الحرب البعيدة. "عزيزتي... هل كل شيء على ما يرام؟ ألم نتفق أن نكون أقوى من ذلك؟" أي حماقة تتحدث عنها يا محمد؟ أي قوة تبقى للأم حين يُقتلع ضناها من جذورها؟ إن الحديث عن القوة أمام فقدان طفل هو جهلٌ لا يُغتفر، وطعنة جديدة في صدر الفقد.

وفي لحظة الاندفاع تلك، وبينما كانت الأصوات تختلط وتتلاشى، شعرتُ بالخطر الحقيقي. ساعة معصمي اهتزت بعنف غريب. لم تكن تهتز، بل

كانت تئنّ! شعرتُ بلكمة باردة في صدري، وكأن عقاربها الحديدية قد عادت إلى الوراء بسرعة جنونية، تمزّق نسيج الوقت حولها.

ثم... انطفأ العالم.

الفصل الثاني: الاستيقاظ على الكذبة

فتحتُ عينيّ ببطء، وكأن أجفاني جبال من الرصاص. أول ما اخترق السكون هو صوت نشيج مكتوم يمزق الصمت. كان صوتًا مألوفًا لدرجة الوجع.

رأيتُ وجوههم. لم يكونوا أطياف العزاء، بل كانت ملامحهم حقيقية، قريبة، ومفحمة بخوف صامت. كان محمد يجثو بجانبي، يداه تحاصران وجهه، يرتجف خوفاً عليّ، بينما صوت بكاء آخر، كالناي الحزين، كان يأتي من خلفه. سام. ابني ذو السنوات الست. كان يجهش بالبكاء، ودموعه تسيل على وجنتيه كخطوط فضية على قماش الحزن. بجانب محمد، وقفت فيروز، أمي، بعينيها اللتين تحملان ثقل العالم.

"ما الذي حدث لي؟" خرج السؤال بصوتٍ مبحوح، كهمس يخرج من قبر.

انحنت فيروز بسرعة، ووضعت كفها الدافئ على جبهتي: "لقد فقدتِ الوعي يا سالين. هل أنتِ بخير؟"

فقدتُ الوعي؟ يا لها من كذبة مريحة! لقد عدتُ من جحيم تكرر سبعة أيام، عدتُ من جنازة ساندي الحقيقية. لكن هذه الكذبة هي ما يحمي فرصتي الآن.

مددتُ يديّ على الفور، لا نحو محمد ولا نحو أمي، بل نحو سام. اجتذبتُ جسده الصغير نحوي، ودفنتُ وجهي في رقبته. كان هذا هو برهان وجودي الوحيد. همستُ وقد كادت روحي أن تخرج من فرط الشوق

والأمان: "الحمد لله... أنا بخير. محمد، أمي... هل يمكن أن تتركوني؟ أريد أن أبقى مع ابني قليلاً."

نظرت فيروز إلى محمد بحكمة الأم العارفة. "بالطبع يا حبيبتي، خذي وقتكِ." خرجت بهدوء، ولحق بها محمد، لكنه لم ينس أن يلقي كلمته الأخيرة من عند الباب: "سالين، إن احتجتِ أي شيء، أنا بالخارج. على بُعد خطوة واحدة فقط." كان صوته يحمل وزن مسؤولية الأب الذي لا يفهم جنون زوجته.

بقيتُ أنا وسام فقط. شعرتُ بيديه الصغيرتين تحاصران خصري، يستمدان الأمان مني. "أمي... هل أنتِ بخير حقاً؟" سأل سام، وعيناه لا تزالان غائمتين بالدموع.

وضعتُ يدي على رأسه، أمررها على خصلات شعره بكل حنان. "نعم يا بني، أنا بخير. أنا معكِ الآن."

أزاح سام رأسه قليلاً، ثم انزلق بصره نحو معصمي. ساد صمتٌ ثقيل قبل أن يكسره سؤاله البريء، الذي كان بمثابة رصاصة تذكير مُصوّبة إلى قلبي: "أمي... أليست تلك الساعة التي بيدكِ ساعة ساندي؟"

أغلقتُ أصابعي حول تلك القطعة المعدنية، التي لم تعد مجرد ساعة، بل أغلى ما لديّ. شعرتُ ببرودتها تسري في عروقي، وبنبض روح ساندي بداخلها. "أجل يا حبيبي، إنها كذلك. وهي... أغلى ما لديّ."

الفصل الثالث: خطة العزل والفشل

كانت كلماتي موجهة إلى سام، لكنها كانت في الحقيقة اعترافاً صامتاً للذكرى الوحيدة التي بقيت منها. سام، الذي لم يعد مهتماً، عاد إلى ألعابه الصغيرة على الأرض. لكنني لم أستطع الحراك. ظللتُ أضغط على الساعة، وأنا أغرق في موجة من اليقين البارد: هذا اليوم سيعود إلى حيث

بدأ، وسأمنع الكارثة هذه المرة، بغض النظر عن السبب. اليقين الوحيد الآن هو أن ساندي لن تضيع مني مجدداً.

نهضتُ من مكاني، تاركة سام يلعب خلفي. خطواتي كانت سريعة وقوية، وكأنني أركض في سباق ضد عقارب الساعة.

وجدتُ محمد في غرفة الملابس، يرتدي قميص عمله. وقفتُ في مدخل الغرفة، أراقب تحركاته بتركيز مهووس، متذكرة كل تفصيل قاده إلى الخروج في اليوم الماضي.

"محمد!" ناديتُه بصوتٍ عالٍ لم يكن فيه أي مجال للنقاش. كان الصوت صلباً، كجدار صخري أُقيم فجأة بيننا.

التفت محمد، وعلى وجهه مزيج من التعجب والقلق الذي ورثه من صالة العزاء. "ماذا هناك يا سالين؟" حاول التظاهر بأن كل شيء طبيعي.

"لن تذهب إلى العمل اليوم." لم يكن سؤالي، بل حكمٌ نهائي.

"ماذا تقولين؟" قطّب حاجبيه، وضحكته القصيرة كانت محاولة فاشلة لتخفيف التوتر. "لدي اجتماع مهم جداً. لا يمكنني إلغاؤه."

"بل ستلغيه يا محمد! أرجوك، سترحل ولن تعود مجدداً!" الكلمات قفزت من حلقي كصراخ طفل يخشى الظلام.

اقترب محمد خطوتين، وضع يديه على كتفي، وكانت لمسته هذه المرة مُحملة بالشفقة التي تقتلني. "أرجوك يا سالين. أنتِ متعبة. ما زالت عواصف العزاء تؤثر فيكِ. الإغماء والحادثة... ما زالا يسيطران عليكِ يا عزيزتي."

أمسكتُ بيديه بكلتا يديّ، وقبضتي كانت حارقة، محاولة غرس الحقيقة في روحه عبر اللمس. "أرجوك يا محمد، افهمني! أنا بخير، لستُ متعبة! لكنني

أريد أن أحافظ على سلامة عائلتنا، ولا أريد أن يتضرر أحد. أقسم لك، لو خرجت اليوم فلن تعود!"

نظر إليّ محمد مطولاً، كانت عيناه تستوعبان كل علامات الجنون في مظهري. أدركتُ أنه لم يأخذ كلماتي على محمل الجد، بل صنّفها كـهذيان مؤقت بسبب الصدمة.

هزّ محمد رأسه بأسف، وأبعد يديّ عن ذراعه برفق لكن بـحسم. "أنا مضطر للذهاب. سأرسل خبراً لوالدتكِ فيروز كي تبيت معكِ الليلة. يبدو أنني سأتأخر وأضطر للمبيت خارج المنزل."

كانت كلماته الأخيرة بمثابة طوبة أخيرة سقطت على جدار أملي الواهن. تركني واقفة وحدي، ودون كلمة إضافية، سار نحو الباب.

سمعتُ صوت الباب يُفتح، ثم صوت إغلاقه القوي الذي دوّى في أرجاء المنزل. لقد غادر، وأخذ معه آخر خيط للسيطرة على اليوم.

بقيتُ واقفة مكاني، أنظر إلى مقبض الباب، وكأنني أنظر إلى قبري المُعاود. لقد فشلت خطتي الأولى. كان عليّ أن أتصرف فوراً.

الفصل الرابع: الطيف يملي الحكم

مرّت الساعات التالية كـماء راكد، لا حياة فيه ولا حركة. سالين لم تخرج من حالة التأهب. في يديها، ظلت ساعة ساندي قطعة ثلج لا تذوب، بينما كانت عيناها تتبعان كل ظل. هي تعلم أن الخطر قادم، لذا قامت بتأمين ساندي وسام داخل المنزل وإغلاق كل الأبواب والمخارج.

ثم، وفي لحظة صمت خانقة، حدث ما كانت تخشاه.

كانت الساعة على معصم سالين تُشير إلى السادسة مساءً تماماً. بدأت الساعة بالاهتزاز بـعنف هستيري، وكأن روح ساندي بداخلها تحاول الخروج. لم يكن هذا مجرد اهتزاز؛ كان أنينًا معدنيًا يخترق صمت المنزل.

تبع الاهتزاز صوتٌ لم يكن من هذا العالم. صوتٌ خشن ومشوّه، كـنصل يُجرّ على حجر صوان، دوّى في جميع أرجاء البيت. "آآآه... أنا قادمة..."

في اللحظة نفسها، سمعت سالين طقطقة مزعجة. كل الأبواب والنوافذ في المنزل، بما فيها باب الغرفة الذي كانت سالين قد أغلقته، أُغلقت بأصوات طنين قاسية، وكأن المنزل يبتلعها في جوفه.

فزعت سالين، وقفزت واقفة. ركضت نحو غرفة ساندي، وكانت الساعة لا تزال تئنّ على معصمها. فتحت الباب بعنف، تجد ساندي جالسة على سريرها، تبكي بـصمت مرعب. سام لم يكن هناك.

اندفعت سالين نحو ابنتها، تجذبها بقوة نحو صدرها. "ساندي بنيتي، وقطعة روحي... لماذا تبكين؟" كان صوت سالين يحمل كل الشوق والحنان الذي كبتته طوال اليوم.

لم تجب ساندي. بدلًا من ذلك، رفعت رأسها وقالت بـصوت طفولي بريء كان كالطعنة لسالين: "أمي، لماذا لم تسمحي لي بحضور الحفلة غداً؟"

أغمضت سالين عينيها وهي تضم ساندي إليها بقوة يائسة. "أرجوك يا بنيتي تفهميني، فأنا أخاف عليك أن تحضري حفلة في قارب."

وهنا، تجمدت ساندي بين ذراعيها. شعرت سالين بـبرودة مفاجئة تنبعث من جسد ابنتها.

رفعت ساندي رأسها، وفي تلك اللحظة، تحوّل المشهد من الخوف إلى رعب حقيقي لا يُحتمل.

عيناها البريئتان تحولتا فجأة إلى نار مُتوهجة بلون الدم الأحمر. صوتها الرقيق تلاشى ليحل محله صوت أخشن، عميق، ومرعب، وكأنه صوت قادم من بئر لا قرار له.

دفعت ساندي سالين بـقوة جبارة أسقطتها أرضاً. وفي عينيها الحمراوين، سمعت سالين الصوت يصرخ: "ما دمت تخافين عليّ من هذه الحفلة، لماذا بعتني لها كي أموت ظلمًا؟"

شعرت سالين بـألم حاد ومُباغت في موضع يدها التي كانت تمسك الساعة. لم يكن ألماً داخلياً؛ كان ألماً حقيقياً خارقاً، وكأن عقارب الساعة قد تحولت إلى شفرات تمزق جلدها. صرخت سالين صرخة مكتومة لم تستطع إكمالها.

وفي تلك اللحظة... انطفأ الوعي مجدداً.

الفصل الخامس: المحاولة الثالثة واليقين الجديد

فتحت سالين عينيها على الإضاءة المعتادة للغرفة. لم يعد هناك صراخ مخيف أو لون أحمر في المكان. رأت وجوههم حولها: أمها فيروز، وسام القلق، يحيطون بها كالمحاولة الثانية.

دفعت سالين فيروز وسام جانباً. "أنا بخير، بخير تماماً." كانت عيناها الآن لا تريان سوى الهدف الواضح والمُرعب الذي رسمه لها طيف ابنتها.

الفصل السادس: الستار الزجاجي: إدراك الطيف للمرة الثالثة

لم تمر ثوانٍ على استيقاظ سالين، حتى كانت تقتحم غرفة نوم ساندي مع فيروزة، باندفاع مزق سكون القصر البارد. توقفت سالين عند حافة السرير؛ حيث ترقد الطفلة جسدًا نحيلاً كزهرة ذابلة.

المرة الثالثة: مدت سالين يدها، متوقعة لحظة الوداع الوهمي. يدها لم تلتقِ ببشرة دافئة. لقد اخترقت فراغًا باردًا تمامًا، كأن الطفلة محجوزة خلف ستار زجاجي غير مرئي يفصلها عن أمها. شعرت سالين بالصدمة تجمد دمها في عروقها، بينما كانت عيناها تتأرجحان بين جنون الإنكار وحقيقة الإدراك القاسية.

راقبت فيروزة المشهد بألم، فهي تعرف جيداً ما تعانيه ابنتها. اقتربت منها ببطء، وعيناها تحملان ثقل كل الأمهات اللاتي يعرفن مرارة الوداع.

"لا يا بُنيتي..." تمتمت فيروزة بصوت متهدج، يرتجف مثل خيط رفيع. "ساندي... ذهبت. لم تعد موجودة هنا، يا حبيبتي. عليكِ أن تتقبّلي الأمر، أرجوكِ. دعي روحها ترتاح... وارتاحي أنتِ أيضًا. إنها الآن في مكان أفضل، مكان لن تطاله قسوة هذه الحياة."

لكن سالين لم تسمع سوى كلمة واحدة: "ذهبت". صمتت صمتًا ثقيلاً، كأنها تحولت إلى تمثال من جليد، ثم انسحبت متجهة نحو المطبخ ببطء قاتل، تبحث عن ملجأ في روتين العمل، لا للهروب من الحزن، بل للقاء الطيف المنتظر وبدء خطة الانتقام.

لحقت بها فيروزة، تدرك أن الحزن العميق يرفض أي مواساة. "حبيبتي، أنتِ مرهقة، وعيناكِ لا تكذبان. دعيني أنا أُحضر الطعام اليوم. خذي قسطًا من الراحة، ولو لدقائق."

توقفت سالين ودارت. لم تكن النظرة التي وجهتها نحو فيروزة نظرة ابنة لأمها؛ كانت نظرة مليئة بحقد غاضب وجارح، كأنها تلقي باللوم على كل شيء حولها. "شكرًا لكِ، أنا من يُعدّ الطعام لأطفالي. اذهبي، فأنتِ المتعَبة حقًا."

نظرت فيروزة إلى سالين بنظرة منكسرة، قلبها يعتصر ألماً على ابنتها الممزقة. أجابتها وعيناها تلمعان بدموع لم تسقط: "حسنًا يا بُنيتي... أنا ذاهبة إلى غرفتي لأرتاح. إن احتجتِ أي شيء، يمكنك مناداتي في أي وقت." وانسحبت فيروزة، تاركة سالين وحيدة، تحارب وحدتها في المطبخ البارد.

الفصل السابع: تكرار طلب الدم

بينما كانت سالين تقطع الخضار بحركات آلية، ظهرت ساندي. كانت طيفًا شفافًا، متوهجًا بهالة زرقاء خافتة، لا يراها أحد غير أمها. وقفت بجوارها وقالت بصوت هادئ يحمل نبرة جادة لم تكن تليق بطفلة: "أمي، ماذا تحضرين؟"

التفتت سالين للخلف. للحظة، تحول بؤس عينيها إلى فرح مجنون ومحموم. "حبيبتي! أحضّر طعامكِ المفضل!"

اقتربت ساندي أكثر، وهمست بنبرة مؤرقة: "أمي، دعينا نتحدث بجدية. هل أنتِ راضية أن يموت حقي في الحياة والعدالة هكذا؟"

ردت سالين بسرعة، كأنها تتلقى طعنة: "لا! بالطبع لا! لكن عن أي حق تتحدثين؟"

أجابت ساندي وعيناها الواسعتان تحملان وعيًا أقدم من عمرها: "أمي، أنا لا أريد أن أموت ظلمًا! يجب أن تأخذي لي حقي، أرجوكِ."

"لكن كيف؟" تساءلت سالين، وقد بدأ الخوف البارد يتسلل إلى عظامها، مع أنها تعرف الإجابة مسبقًا.

اقتربت ساندي جدًا، مائلة برأسها الشفاف. ثم همست في أذن سالين بكلمات تحطّم جدار العقل وتفتح أبواب الجنون والانتقام.

اتسعت عينا سالين بصدمة بلغت حد التجمد. تجمدت يدها التي كانت تحمل السكين في الهواء، وقد ارتسمت على وجهها علامات الرعب والخضوع لقرار لا رجعة فيه في آن واحد. لقد أدركت سالين للتو أن طريق الانتقام لا يمر عبر العزاء، بل عبر دم جديد يغسل ظلمها.

الفصل الثامن: الثمن البارد

السؤال لم يعد "كيف أمنع الكارثة؟" بل تحول إلى سؤال أكثر قسوة: "من هو الثمن العادل لإنهاء هذا العذاب المتكرر؟"

السيف الزجاجي لكلمات ساندي اخترق صمت المطبخ وبدأ يمزق نسيج سالين الداخلي. لم تكن الصدمة هي ما جمّد حركتها، بل كان الإدراك البارد. لقد حاولت إنقاذها، وفشلت. أما الآن، فقد طالب الطيف بالانتقام.

نظرت سالين إلى السكين في يدها، ولم تعد تراه أداة لتقطيع الخضار، بل امتدادًا لرغبة ابنتها المحتجزة خلف ستار العدم. سكينٌ لا يحتاج سوى لعقد من الدم ليعيد التوازن المفقود.

ببطء قاتل، وضعت سالين السكين على الطاولة. لم يكن هناك صراخ، لم تكن هناك دموع، فقط صلابة اليأس الذي تحول إلى يقين. تحسست ساعة ساندي على معصمها. توهجها الأزرق الخافت ازداد قوة، وكأنه يوافق على عزمها.

في الخارج، كان محمد قد أرسل رسالة نصية قصيرة، تتسلل حروفها الباردة إلى هدوء المنزل: "سالين، سأتأخر جداً الليلة، ربما سأنام في الفندق

القريب من اجتماع الغد. لا تقلقي وأعتني بسام وفيروزة. سأعود غداً صباحاً."

كلماته كانت بمثابة هبة من السماء.

دخلت سالين غرفة الجلوس ببطء. كان سام ما زال غارقاً في عالمه الخاص. جلست بجواره، واحتضنته.

"سام حبيبي، هل تود أن تنام في غرفة أمي فيروزة اليوم؟" سألت بهدوء.

اقتنع الطفل فوراً. بعد دقائق، اطمأنت سالين على سام في غرفة فيروزة، مطمئنة أن كلاهما سيغط في نوم عميق. عندما أغلقت الباب خلفها، لم يبق في المنزل سوى ثلاثة: هي، وطيف ابنتها ساندي، والهدوء الثقيل الذي يسبق المذبحة.

الفصل :التاسع

نظرت سالين إلى عقارب الساعة. لم تعد العقارب تشير إلى زمن، بل تحول شكلها وهيئتها. لقد أصبحت أقرب إلى بعضها البعض، متراصة بقوة، وكأنها لم تعد تريد أن تكون ساعة؛ بل أصبحت بوصلة تتوهج باللون الأزرق الخافت، وترشدها إلى اتجاه محدد داخل المنزل.

تبع قلب سالين إشارة البوصلة الغامضة. توجهت مباشرة نحو مكتب محمد. دخلت سالين إلى المكتب، وعقارب الساعة المضيئة تقودها مباشرة إلى زاوية خفية في عمق الخزانة. هناك، وجدت نفسها أمام صندوق خشبي مليء بالملفات التي لم ترها من قبل.

اندفعت سالين، وكأن قوة خفية تدفع يديها. فتحت أحد الملفات، ويا ليتها لم تفتحه! فقد وجدت بداخله صدمة عمرها الباردة.

كان العقد ينص بوضوح على بيع الشركة التي ورثتها عن والدها، والموقعة بالفعل باسمها، إلى شريك زوجها، جاسم. كيف وهي لم تبع شيئاً؟ تذكرت أنها قد وقعت وكالة عامة غير قابلة للإلغاء لزوجها وحبيب عمرها، محمد، بسبب ثقتها العمياء به. كان العقد دليلاً دامغاً على خيانة مزدوجة: خيانة المال، وخيانة الروح.

لم تكتفِ الصدمة. في أسفل العقد، كانت هناك ورقة مكملة، هي الشرط الحقيقي للصفقة القذرة: يجب أن تحضر العائلة بأكملها إلى حفلة على القارب في البحر بمناسبة البيعة الكبيرة.

تجمدت الدماء في عروق سالين. صفنت. أليست تلك هي الحفلة التي سُلبت فيها روح ساندي ظلماً؟ لقد كان الموت خطوة ضرورية لإنهاء صفقة المال القذرة!

ارتفع صوت ساندي، الطيف الأزرق، يتردد في أذنيها بـهمس بارد وصادق: "أمي، لا تبتعدي بالبحث... ولا تنظري إلى كبير العمر... ففي قلوب الصغار حقد أكبر من الكبار."

أدركت سالين الحقيقة المُرعبة: محمد لم يكن المُتسبّب، بل كان الأداة. الكارثة كانت مدبرة لخلق غياب دائم. في تلك اللحظة، تحول هدف سالين إلى الانتقام.

الفصل العاشر: اعتراف الطبول وبداية الجنون

خرجت سالين من المنزل، حاملة سرها الدامي، وتوجهت بسرعة إلى قصر جاسم. لم تعد ترى في البناء الشاهق رمزاً للنجاح، بل حصناً من حصون الجريمة. اقتحمت القصر باندفاع، وواجهت جاسم بوجه شاحب وعينين تشتعلان بلهيب الحقيقة.

"أتعرف ما هذا يا جاسم؟ هذا هو عقد الدم! العقد الذي قتل ابنتي، وسلب روحي، وسرق حقي! أنا أعرف كل شيء!"

انحنى جاسم، وعلى وجهه ابتسامة باردة تتسع ببطء، وكأنها قناع من الجليد يخفي وحشاً. "حسناً، لنفترض جدلاً أن كل كلمة تقولينها صحيحة، يا سالين العزيزة. فمن سيُصدّقكِ؟ من سيُصدّق امرأة فقدت عقلها على فراق ابنتها؟"

وفي أثناء اعتراف جاسم الساخر، وهو يتباهى بكيفية نصبه وسلبه حقها في ورثة أبيها، كاشفاً أن محمد كان مجرد ضحية يتلاعب بها كلعبة في يده، ارتفعت دقات الساعة على معصم سالين بجنون.

وفي تلك اللحظة، فُتح باب الغرفة، ودخل إبراهيم، الصبي الذي لم يتجاوز الثامنة، ابن جاسم.

بمجرد رؤية إبراهيم، أصابت سالين نوبة هلع جامحة. انفجرت دقات الساعة في أذنها كصوت رصاصة موجهة إلى قلبها، وسمعت الهمس الشرس والقديم يتجدد: "إنه القاتل! إنه القاتل! إنه القاتل!"

اندفعت سالين نحو الطفل، وأمسكت به بعنف يائس. صرخت في وجهه: "أجبني! لماذا قتلْتَها؟ لماذا قتلتَ ساندي؟"

عندما سمع إبراهيم السؤال، تكسّر صمت ضميره. انهار باكياً، وكلماته خرجت كاعتراف مؤلم: "أرجوكِ سامحيني... لم يكن قصدي!"

ركض إبراهيم مذعوراً إلى أحضان أبيه، وصرخ بوجع يُدمي القلب: "ألم تقل لي أنني لست قاتلاً؟ ألم تقل لي إن الله سيسامحني لأنه لم يكن قصدي؟"

انطفأ الكون في عيني سالين. حملت سكيناً حاداً من طبق الفاكهة، وهاجمتهما بصوت مرتفع مزق هدوء القصر: "أيها القتلة! ستُحاسبون!"

تدخل حراس القصر فوراً وأمسكوا بها. وفي تلك اللحظة الفاصلة، دخل محمد، الذي كان لديه موعد عمل مع جاسم.

"ما الذي يحدث؟!" صرخ محمد.

أجابه جاسم، وعيناه تفيضان بالشر والحقد، وهو يضم ابنه المرتعش إلى صدره: "زوجتك يا محمد، أصابها الجنون. لقد أصبحت تتخيل أحداثاً لم تجرِ، لدرجة أنها تريد قتل صغيري إبراهيم! أرجوك خذها من هنا، فهي خطر على الجميع."

الفصل الحادي عشر: وداع العقل

أخذ محمد سالين إلى المنزل، ونتيجة لجنونها المفرط وصرخاتها المستمرة: "أريد حق دم ساندي!" ومحاولاتها إيذاء كل من حولها، اضطر محمد إلى حبسها في غرفتها. كانت تكسر كل شيء حولها، مكسّرة النوافذ، وممزقة الستائر، تصارع الوعي في محاولة يائسة للعودة بالزمن.

على مدى يومين كاملين من الصراخ المتواصل، أدرك الجميع أنها لم تعد طبيعية. حتى والدتها فيروزة قالت بأسف مُر: "ابنتي سالين خسرت عقلها، بعد خسارتها لضناها."

اغتنم جاسم الفرصة الذهبية. اقترح على محمد أن يأخذها إلى مستشفى للأمراض العقلية؛ فهي أصبحت خطراً عليهم جميعاً، وعلى نفسها. اقتنع محمد، الذي لم يعد يرى أمامه سوى زوجة تحولت إلى كتلة من الهذيان، فوافق.

الفصل الثاني عشر: الرفيقة الأبدية

كانت سالين تجلس في الغرفة البيضاء، محاطة بسكون المستشفى القاسي. لم تعد تقاوم. في تلك اللحظة، جاءت ساندي.

كانت ساندي طيفاً هادئاً، يتوهج بالسكينة. "أمي، هل أنتِ بخير؟"

نظرت إليها سالين بنظرة باهتة: "لا أظن ذلك يا ساندي. لقد أُصبت بالجنون."

أجابت ساندي بهدوء الواثق: "كلا يا أمي، أنتِ عاقلة. أنتِ وحدكِ التي تستطيعين رؤية الحقيقة."

"حقاً؟" سألت سالين.

هزت ساندي رأسها بإيجاب: "نعم. أتريدين أن تري أنكِ على حق، وكيف سُلبت روحي؟"

"نعم، أريد!"

اقتربت ساندي، ومدّت يدها الشفافة نحو ساعة سالين. وما أن لمستها، حتى وجدت سالين نفسها تطفو في الذاكرة، عادت إلى حفلة القارب، لكنها هذه المرة تشاهد من منظور الستار الزجاجي.

رأت سالين كيف كان الأطفال يتنمرون على ساندي وهي تبكي، وكيف وقف إبراهيم، صبي الثماني سنوات، يضحك.

"يكفي يا رفاق! اذهبوا! لا يجب أن نُضيّع وقتنا مع تلك الحمقاء!" قال إبراهيم، بينما ذهب الجميع إلا هو. نظر إلى ساندي ببرود مريض وقال: "ستبقين فتاة نسخر منها وبلا قيمة!"

رفعت ساندي رأسها، وهي تملك كبرياء المتفوقين: "لكنني لست فاشلة مثلك! أنا أكثر فتاة متفوقة دراسياً، ولست مثلك فتى مُدللاً فاشلاً!"

انفجر إبراهيم غضباً. تقدم إليها، وصرخ: "انظري ماذا سيفعل الفاشل!" دفع ساندي بقوة. عادت ساندي إلى الوراء، واصطدمت قدمها بـمرساة القارب الضخمة. لم يكن موتها صدفة تعثر، بل دفع متعمد ومقصود بسبب الغضب والحقد الطفولي المسموم.

عندما رأت سالين ذلك الظلم الصارخ، لم تعد تستطع أن تحتمل. لم يكن موتها حادثاً، بل جريمة، ضحيتها بريئة.

ضربت سالين ساعة يدها بكل قوتها على الحائط. لم تكن ضربة مقاومة، بل كانت ضربة يأس وتخّلٍ. أصيبت سالين بنوبة هستيرية لم تكن نوبة جنون عادية؛ بل كانت قراراً واعياً بالتحرر.

عندما جاء الممرضون على صوت الصراخ، وجدوا سالين في حالة غريبة. لقد قررت أن تذهب مع ساندي وترافقها. لم تعد تريد أن تعيش في عالم يلفّه الكذب، ويسوده الظلم، ويُحبس فيه الأبرياء. أرادت أن تبقى إلى جانب روح ابنتها إلى الأبد، خلف الستار الزجاجي الذي يفصل عالمها عن الواقع.

لقد وجدت سالين أخيراً راحتها الأبدية، رفقة ابنتها، في مكان لن تطاله قسوة الحياة الكاذبة.

البيت المتحرك

Home sweet home

الكاتبة: آلاء الفاضل

يرجى إيصال هذه القصة إلى بيت متحرك، ربما تظنون أنه شاحنة متنقلة (motorhome)، ولكن لا بل بيت حقيقي، ربما تظنون مثل البقية أنني مجنون! ولكن سأحكي قصتي، لعلها تصل إلى أحدًا ما يجد فيها دليل براءتي، أو إلى حيث يجب أن تصل، إلى سيلا...

أمضيت يوم عمل طويل، ضاق ذرعي وفكرت وحلمت كثيرًا بالعودة إلى المنزل، وحان أخيرًا الوقت للعودة. كان مساءً خريفيًا تزدان شوارعه بأوراق الشجر المتساقطة من الأشجار، مع كل خطوة أخطوها أسمع صوت خشخشة الأوراق المهشمة تحت أقدامي، كنت أود لو أن بمقدرتي العودة بسيارتي لكنها في التصليح، حثثت الخطى لشعوري بالبرد، وأنا أدندن أغنيتي التي أحبها، كنت مستغرقًا في الأغنية حتى لم انتبه أنني وصلت لولا تحية صاحب متجر البقالة الذي متجره بعد منزلي ، فعرفت أنني تجاوزت بيتي وأنا ساه فعدت أدراجي، عند رجوعي أحسست بشيء غريب، كنت أطالع مكان بيتي لكن لم أرى شيء مكانه! هنا وقفت قليلًا من بعيد وأنا أراجع ذاكرتي، ولكنني متأكد أن بيتي غير موجود، كان المكان الذي يجب أن يكون فيه خاويًا تمامًا وكأن هناك شيء رفع البيت بكل ما فيه من على الأرض! أشيائي، ملابسي، سريري، زوجتي... هذا صحيح أين زوجتي سيلا؟! لم أشعر بالحزن حتى تذكرتها، كان يومي طويلًا ووحدها من تستطيع مسح تعبي بكلماتها، شرعت أنادي اسمها

بأعلى صوتي : "سيلا؟!"... لكن لا مجيب. شعرت بالأرض تدور بي وبأنني أفقد الاتجاهات فضممت جسدي مقرفصًا، هل حقًا لا أتذكر أين منزلي؟ أنا أتذكره، أتذكرها بعينيها الخضراء، بشعرها البرتقالي ونمش وجهها، الياسمين التي زرعته سيلا في أصص وقولي لها أنها لن تنمو، جرس البيت التي نحب رنته، صوت زمور السيارة ودوران الدنيا، أغنيتنا التي نحبها... لحظة أنني أسمع صوت سيلا وهي تغنيها! من أين يأتي الصوت؟! نهضت لكي أتبعه، ظللت امشي وامشي إلى أن وصلت لقرب

حديقة كنا نحبها، في الجو تعبق رائحة ياسمين وتزداد مع اقترابي، هناك لدهشتي وسط الأشجار والأزهار كان يقبع... منزلي! هرعت نحوه مسرعًا بأقدامي المرتجفة، قلبي يرتجف أكثر، أخرجت المفتاح وحاولت إدخاله بالفتحة بيدي المرتعشة، صوت غناء سيلا مستمر، أبرمت يدي، تِكْ، فتح الباب، هدوء... تقدمت بخطى متثاقلة وحلق جاف متمنيًا أن تكون سيلا هناك، داخل المنزل لم يتغير ولكن الياسمين الذي في الأصيص قد أفرع واشتبك بجدران المنزل وكأنه جزء منه، تقدمت أتحسس الياسمين وأشمه لأسمع صوتها وهي تقول لي "أهلًا بعودتك عزيزي وائل."

استدرت بعدم تصديق، وجدتها واقفة تحدق بي بحنان كأن عينيها الخضراء حديقة خصبة سرية لي وحدي، فعانقتها وأخبرتها أنني خفت أن أكون فقدتها للأبد حينها لن يكون لي انتماء لأي مكان وستكون كل الأماكن غريبة، ضحكت وضمت وجهي بيديها

وقالت: "بالطبع، سأكون هنا أين عساي أكون؟! والآن دعنا نجلس ونتحدث." جلسنا وأخبرتها عن عملي وأنني رغبت بشدة في العودة للمنزل وداهمني شوق شديد له ولها. ثم تحدثنا في أمور شتى واستغرقت في النوم دون انتباه، استيقظت على أشعة الشمس التي تضرب وجهي مباشرة عندما فتحت عيني رأيت السماء فوقي، كنت ممددًا على الطين والعشب الذابل وقد اختفى البيت مع سيلا! نهضت بفزع اتلفت حولي فلم أجد شيئًا! عدت ادراجي لمكان منزلي المعتاد ولم أجده أيضًا، فقررت الذهاب للعمل لأني تأخرت، حاولت إصلاح هندامي قدر ما استطعت وهناك في الشركة اغتسلت وذهبت للحمام، كنت أفكر بأخبار صديقي في العمل ولكنني تراجعت خوفًا من أنه لن يصدقني، قضيت باقي نهاري في العمل ثم حان وقت الرجوع أخيرًا إلى المنزل، ولكن أين المنزل؟ رأيت زملاء عملي يستعدون للذهاب لأسرهم وشعرت بالغيرة قليلًا لأن هناك مكان ينتمون له، ولكن كان عندي إيمان أنني سأجد منزلي اليوم أيضًا، خرجت ومشيت

لمكانه ولم أجده كما توقعت فبدأت بالغناء وسمعت صوتها يرد الغناء فتبعته، ظللت امشي وادندن فتارة يعلو الصوت وتارة يخفت كأنني العب لعبة بارد ساخن، ثم بدأت تظهر رائحة الياسمين فعرفت أنني اقتربت واستمريت بالمشي فوجدت المنزل عند الشاطئ، كان مكانه غريبًا لأننا لم نذهب يومًا لهنا ولكننا كنا نخطط، ربما هذه فرصتنا لنراه معًا. وصلت للمنزل وفتحت الباب وكانت جالسة تقرأ كتابها المفضل فتقدمت ووضعت يدي على عينيها وأخبرتها أن لدي مفاجأة وأخرجتها إلى الخارج، ثم سحبت يدي لترى البحر فقفزت من الفرحة وعانقتني.

سيلا: "لا أصدق عيني، شكرًا لك، لطالما أردت المجيء إلى هنا!"

فقلت: "يسعدني كثيرًا رؤيتك فرحة، وأنا سعيد لأنني هنا معكِ."

ثم تمشينا قليلًا حفاة على الشط، لعبنا بالماء ورششناه على بعضنا، ثم تسابقنا للمنزل، تحدثنا ونمت مثل المرة السابقة واستيقظت على الرمال وحيدًا... اغتسلت بماء البحر واستعدت للذهاب للعمل، أخذت سيارة أجرة لأنني تأخرت كثيرًا، عندما وصلت رمقني الجميع بنظرات استغراب لتأخري على غير عادتي، فأخبرتهم أنني قد استغرقت في النوم ولم انتبه للمنبه وكانت زميلتي رنا قلقة علي لكنها لم تحدثني، وسمعتها تحدث راشد بأن يعتني بي.

مضى اليوم كالعادة وحان وقت العودة فاستوقفني صديقي راشد وقال لي أنه يرغب بالرجوع معي إلى منزلي، والتحدث كالأيام الخوالي إن كان هناك مجال، هنا تجمدت ولم أدري ماذا علي فعله هل أخبره الحقيقة أم أخبره أنني مشغول؟ أخبرته أنني مشغول ووعدته في المرة القادمة.

بعد خروجي رحت امشي وامشي وادندن لأصل إلى بيتي، لكن ظللت أفكر بصديقي وشعرت بالحزن لأنني لم أخبره، استمريت بالمشي ومشيت طويلًا وأنا أغني ولكن كان صوت غناء سيلا خافتًا بالكاد اسمعه، ووصلت لجسر

به سيارات وممشى للمشاة على الجانبين وكان صوت غنائها ممتزجًا مع صوت المارة وأبواق السيارات، أحسست بشيء غريب ولكنني تابعت المسير وكان شعوري محقًا فقد كان البيت في منتصف الجسر بين السيارات القادمة والذاهبة، ترددت ولكن عبرت الطريق نحوه مع سخط السائقين واعتراضهم على ما أفعل، وعندما أوشكت الوصول للباب وفتحه بالمفتاح أتى رجل شرطة المرور وامارات التعجب بادية على وجهه،

وقال لي: "ماذا تظن نفسك فاعلًا هنا؟"

فقلت له بنفس النبرة متعجبًا - لأنه لا يرى المنزل - بأنني أدخل إلى منزلي."

قال لي: "أي منزل؟ هل تمزح معي؟"

رددت عليه بحدة بأنني لا أمزح وأنني سأفتح الباب وزوجتي تنتظرني وأخرجت المفاتيح وفتحته.

فقال لي مهددًا: إن لم تكف عن هذا الهراء وتتراجع، فسأضطر لتغريمك لتعطيل السير وعرقلة العمل."

فرددت عليه بسخرية وتهكم بأن يفعل ما يشاء وهممت بالدخول للمنزل.

لكنه أخرج الأصفاد وهم بتصفيدي! وقال: "سيتم حجزك لأنك تبدو مجنونًا وقد تسبب أذى لغيرك، عندما يأتي كفيل يضمن أنك عاقل ستخرج، تتحدث وكأن الجسر باسمك!"

كانت ليلة قاسية لم يصدقني فيها أحد، شعرت بالحنين للمنزل بشكل جنوني، وكانت سيلا تغني بلا هوادة، مانعة بصوتها ضميري أن ينام، أو أن يغمض لي جفن دون أن أفكر أنها قلقة الآن لأنني لم أعد.

حل الصباح واضطرت للاتصال بصديقي راشد ليأتي ويدفع عني الغرامة ويكفلني لأنني لا أحمل النقود الآن وخرجنا سويًا، كان يطالعني بنظرات قلقة وسألني إن كنت بخير، أخبرته أنني بخير والشرطي كان يبالغ، لم يصر أكثر لكنه في المساء عند وقت العودة للمنزل من العمل عاود طلبه في الذهاب لمنزلي معًا، لم أدري ما أقول فوافقت، لكنني أخبرته الحقيقة وأن المنزل ليس في مكانه، فقال لي لنذهب عسانا نجده، عند مشينا لم اسمع صوت سيلا استغربت وكنت قلقًا لكنني كنت أعرف أن المنزل لن يكون مكانه وسيدهش صديقي ويصدقني، ولكن لدهشتي أنا كان هناك قابعًا في مكانه!

تجمدت قليلًا ولاحظ علي صديقي أنني أتصرف بشكل غريب فسألني ما بي، أخبرته بأنه لا شيء ولكنني أخشى أن تنزعج سيلا لأنني لم أخبرها بقدومنا سويًا، فقال لي: "عن ماذا تتحدث؟ سيلا ليست هنا!"

سألته ماذا يقصد وأنا أفتح الباب، وكان المنزل خاويًا فعلًا!

شعرت بالحزن وظننت أنها قد تكون حزينة لأنني لم أعد البارحة، ودخلنا وكان صديقي ما زال يبدي القلق ولكنه يخفيه بالكاد، جلسنا وتحدثنا قليلًا ثم أردنا أن نأكل ولكن كل الأغراض في المطبخ كانت فاسدة، فطلبنا أكلًا جاهزًا، بعدها نمنا، وعند الصباح ذهبنا للعمل، عند وقت الرجوع دعاني صديقي لمنزله، لكنني رفضت وقلت له أنني أرغب في الرجوع إلى المنزل.

ثم أصر على المجيء معي مرة أخرى، لكنني رفضت أيضًا متعللًا بأنني أريد قضاء بعض الوقت وحدي.

عند مشيي وحيدًا حاولت الدندنة علها تجيبني لكنها لم تجب فورًا، وكان صوتها خافتًا، ظللت اتبعه حتى وصلت لسكة حديد مهجورة، كان صوت غنائها ورائحة الياسمين الضعيفة تزدادان عند اقترابي من السكة، حتى

رأيته (المنزل) فوقها تنصفه لنصفين، لو كانت السكة قيد العمل لتهشم المنزل لمرور القطار، تقدمت بقلق وفتحت الباب، كان الياسمين ذاويًا قليلًا و سيلا تجلس واضعة كفها على خدها، لم تنتبه لدخولي واستمرت بالغناء، حتى تنحنحت وناديتها فالتفتت لي، ابتسمت لي لكن نظراتها كانت تائهة.

نظرتُ لها عميقًا في عينيها الذاويتين، كأنها غائبة في مكان بعيد وتحاول روحها الرجوع لهنا، اعتذرت لها لأنني لم أعد البارحة وقلت لها ما حصل معي، لم تعاتبني وقالت أنها ليست غاضبة مني، بل على العكس حزينة لأجلي، لم أفهم ما بها ولكنني حاولت إسعادها وشغلت أغنيتنا لنرقص، ضممتها ونحن نرقص بهدوء في دائرة ثم أبعدتها عني لكي أجعلها تدور ولكنها عند فعلي لذلك خافت وارتعدت، صدمت وحاولت تهدئتها.

سألتها ما بها فقالت: "لا أحب اللف والدوران."

فأخبرتها أنني لن أعيدها، فقالت ضاحكة بنبرة حزينة: "بالتأكيد!"

ثم جلسنا كالعادة وتحدثنا ونمت واستيقظت وحدي مجددًا على سكة الحديد، كانت باردة وقاسية كواقعي.

نهضت لأذهب للعمل لكنني فكرت بالعدول عن الفكرة، لأنني تأخرت وصديقي سيقلق و لن يتركني وسيصر على مرافقتي، فظللت امشي وأهيم لا على وجهة معينة، جلست باقي نهاري أراقب الناس وهم يمشون في عوائل أو وحيدين وأفكر أن كلهم لهم منزل يعودون له، ثم استمريت بالمشي حتى تعبت قدمي، وصلت لشارع تعج به السيارات، وكان هناك تقاطع في آخره، هذه المرة سمعت صوت سيلا وهي تغني وكأنها على بعد أمتار وليست في المنزل!

تبعت صوتها فوجدتها تمشي وتدندن فأسرعت للحاق بها، ووصلنا لتقاطع صمم ليضيع فيه الإنسان بين طرقه المتشابكة، كانت فوضى مرورية

وشعرت أن حياتنا تدور في نفس هذه الدوامة، إشارات ضوئية تومض بلا جدوى، سيارات تندفع كأنها في سباق محموم، وفي وسط هذا كله كان المنزل قائمًا كأنه جزيرة سلام في وسط بحر هائج، كانت ذاهبة إليه غير أبهة بالسيارات المسرعة، فركضت نحوها خوفًا عليها وناديتها فالتفتت ونظرت لي بعتب، ثم تابعت المسير فناديتها مجددًا.

فقالت: "ماذا تريد؟ ألا ترى أنني ذاهبة إلى المنزل من أجلك؟"

قلت لها: "بلى، ولكن المكان خطير هنا!"

فقالت: "لماذا؟ إنه مناسب كثيرًا للف والدوران."

فتسمرت وقلت لها: "ماذا تعنين؟!"

فقالت بنبرة شبه صارخة: "جئت لهنا لأنني أعرف كم تحب اللف والدوران، رغم كرهي له!"

أصوات أبواق السيارات تعلو من كل اتجاه وبالكاد صرت اسمعها

وصرخت: "عن ماذا تتحدثين، أي لف ودوران؟"

فردت صارخة: "تعود متأخرًا تحمل الأعذار دومًا، وتخبرني أنك في العمل، وأنا يجب أن أبقى في المنزل انتظرك، علي أن أرى اتصالاتها بك، واسكت لأنها زميلتك في العمل وليس هناك شيء بينكما، لكنني رأيتكما!"

شعرت بأنني اختنق وصرت اتنفس سريعًا دون جدوى، بل صرت أحس بالدوار وحاولت الإسراع خلفها، ثم، باام...

دفعتني سيارة وصرت أدور على الأرض وشعرت بأن ذكرياتي وواقعي يدوران معي أيضًا، حتى ما عدت أميز الواقع من الخيال، صوت أغنيتنا في السيارة، شجارنا، صوت صراخ سيلا حانقة علي ونحن عائدان من حفل العمل، صراخي عليها بأنها تفتعل المشاكل، صراخها علي بأنها لا

تحب اللف والدوران، صراخي عليها بأنها مجنونة، صراخها علي بأنها رأتني مع رنا! اصطدام سيارتنا، دوران الدنيا بنا داخلها وهي تنقلب على منحدر في الطريق، الهدوء... الذي عقب كل هذا، محاولتي إيقاظ سيلا، استيقاظي في المشفى وحيدًا، ثم خبر وفاة سيلا... مرت عدة أيام منذ استيقظت في المشفى العام وأشعر أن كل هذا كابوس لأنني أعلم أنها ما زالت حية، أخبرتهم أنني عائد للمنزل لكنهم منعوني، وزارني صديقي راشد، كان هو السبب بتحويلي إلى مشفى الأمراض العقلية، فقد أخبرهم أنه يشك بصحة عقلي والشرطي وزملاء عملي شهدوا معه، والآن أنا محتجز هنا بين جدران المشفى البيضاء لا يزال صوتها يغريني... يغني لي بهمس أن المنزل وجنة عينيها ما زالا ينتظرانني، وأن هناك طرق آخرى للذهاب إليه، إلى سيلا...

البيت المتحدّث

الكاتبة: حلا مروان الدّروبي

كما هي حال كل جسد بلا روح، جسد مُكبّل تحت التراب

وروحٌ تتجوّل في الأرجاء باحثةً عن خيط أملٍ يصلها بالعالم الخارجي.

فما كان لها إلا الرسائل الورقية السبيل الوحيد لتذكير سكان هذا المكان أن أحدهم يركن تحت مكتبه الخاص في اسفل منزله، ركن بعيد عن ضجيج البشر.

كان منزل يئنّ تحت وطأة الأيام المنسيّة، تُحيط به حديقة يملؤها البؤس كما يملؤها الشوك.

وراء هذا المنزل حكاية ورسائل لا أحد يعرفها.

ورثته سيما من خالها الذي رباها منذ صغرها، لقد عُرف بغرابته وعزلته ولكن لم تكن هي أيضاً تعش حالة أفضل من خالها

فقد كانت كاتبة مُنعزلة تبحث عن ملاذٍ هادئ بعيد عن ضوضاء العالم من حولها.

كان المنزل بكل ما فيه من غبار وذكريات يبدو مثال لروح متشائمة ومتوحدة

في صباح اليوم الأول لها بالجامعة بعد انتقالها من منزلها لمنزل خالها القريب من الجامعة

قررت أن تمسح غبار الكآبة التي تخيم جمال المنزل

بدأت بالفعل وحينما انتهت بدأت تتفحص المنزل زاوية زاوية حتى وصلت إلى القبو في الطابق الأرضي

تذكرت حينها أمها كم كانت تقص لها حكايات عنه وكأنه يحمل شيء خطير

بدأت سيما تنزل خطوة وراء خطوة على السلالم الخشبية المتآكلة التي حاولت كثيراً أن تصرخ تحت قدميها محذرتها من القادم

كان القبو رطباً تفوح منه رائحة عفن والعتم يخيمه تماماً.

أضاءت المصباح ذو النور الساطع لتبدأ رحلتها حول اكتشاف الجدران الحجرية المتهالكة والأرضية الترابية وأكوام من الأثاث القديمة المغطاة بالأقمشة البالية.

بينما كانت تُزيل الغبار عن خزانة خشبية ضخمة لاحظت شيئاً غريباً، لاحظت ورقة صفراء مكتوبة بخط يد بشرية ملقاة على الأرض كما لو أن أحد أسقطها للتو

التقطتها بفضول

كانت الورقة قديمة وهشة والكتابة كانت بقلم ذو حبر بني باهت

نصها: "هل هناك أحد؟ لقد سمعت خطوات أنا هنا تحتك أرجوك أجيبي"

ارتسمت ملامح ابتسامة مليئة بالتساؤلات على وجه سيما

وقالت بينها وبين نفسها

لا بد أن أجد كثيراً مثل هذه المخلفات وراء خالي ذو الطبع الغريب الذي ربما كان يمارس نوعاً من الكتابة ليومياته

أو ربما خدعة من الجيران أو طقوس الكآبة خاصته ليجعلوني أخاف من القادم

ولكن باليوم التالي، عادت إلى القبو لتجلب بضع قطع من الفحم المتراكمة للتدفئة، فوجدت ورقة أخرى في المكان ذاته

هذه المرة كان الخط أكثر استعجالاً:

"أسمعك تتحركين هنا كل يوم

أنا عالق هنا

منذ متى وأنا هنا؟ لا أتذكر

الوقت يذوب مثل الثلج في الظلام أرجوكِ لا تتجاهليننني".

شعرت سيما بوخزة غريبة كانت الرسالة أكثر إلحاحاً من سابقتها

تساءلت إذا كان هناك ممر سري نسي محامي الميراث أن يذكره أو إذا كان أحد المتشردين يتسلل إلى القبو ليلاً

فحصت الجدران الحجرية بدقة لكنها لم تعثر على أي باب خفي أو فتحة.

الأرضية كانت ترابية صلبة لا أثر لأي حفر حديثة

هزت كتفيها محاولة إقناع نفسها بأنها مزحة معقدة لكن فضولها بدأ يستيقظ.

في اليوم الثالث أيضاً زارت القبو وكانت الرسالة تنتظرها:

"أنت تتجاهليني أفهم ذلك

من يصدق صوتا تحت الأرض ؟لكن أتوسل إليكِ

اسمي كريم تاجر أقمشة هذا كان بيتي

حدث شي فظيع ... ذاكرة مشوش .. نار.. صراخ

اتركي لي رسالة أي إشارة على انك تسمعيني ستكون كافية"

لم تعد سيما تستطع التظاهر بعدم الاهتمام

الاسم، التفاصيل، الشخصية كانت مقنعة بشكل مخيف

قررت أن تكتب له على ظهر ورقة بيضاء "أنا اسمعك كيف يمكنني مساعدتك؟" وتركتها في المكان المعتاد

في صباح اليوم التالي كانت الورقة قد اختفت وحلت محلها أخرى:

"شكراً لكِ لم أكن أعرف كم كنت وحيداً

صوتك ورسالتك كانا أول بصيص نور في ظلامي الطويل

لا أعرف كيف أخرج إنه مثل حلم سيء لا ينتهي ولا أستطيع الاستيقاظ منه.

أذكر أن القبو كان به بئر قديم

كان عمري عشر سنوات عندما سقطت فيه

لكن لا هذا ليس منطقياً فأنا الآن رجل كبير، اللعنة إنها ذاكرتي الخائنة"

أصيبت سيما بقشعريرة

بئر قديم؟ عاودت فحص القبو مرة أخرة مركزة على الأرضية

في الزاوية الأبعد حيث كانت كومة من الخشب القديم تغطي ركن من الأرض

دفعها حدسها لإزالة الأخشاب تحتها،

اكتشفت غطاء خشبي كبير مثبت بالأرض يشبه باب مصيدة كان ثقيلا ومغلقا بقالب حديدي صدئ

بعد جهد كبير تمكنت من فتح الغطاء

تحته ظلام دامس أضاءت مصباحها لتكشف عن حفرة عميقة

بئر مهجور بالفعل كان جاف ومليء بالحطام ولا يبدو أنه يؤدي إلى أي مكان!

شعرت بخيبة أمل لكنها مع ذلك نزلت بحذر على سلم حبل متآكل لا يزال مثبتا حتى وصلت إلى القاع الذي لم يتجاوز عمقه ثلاثة أمتار

لكنها لم تجد سوى التراب والحجارة لا أثر لجسم إنسان، شعرت بأنها حمقاء لتصديقها للأمر

قررت إنهاء هذه المهزلة

وكتبت رسالة أخيرة:

"البئر فارغ لا أحد هنا توقف عن هذه المزحة".

حتى جاءها الرد في اليوم التالي، كان مأساوياً جدًا:

"فارغة؟ بالطبع هي فارعة لأن روحي العالقة هنا وليس جسدي أتذكر الآن بوضوح

كان حريقا حاولت إنقاذ عائلتي لكن السقف انهار عليّ في هذا القبو

كان ذلك شتاءً قاسيًا في الثمانينات

أنا ميت أليس كذلك؟ هذا ما تحاولي قوله دون أن تجرحي مشاعري

كل هذه السنين وأنا أعتقد أنني ما زلت حياً"

شحبَ وجه سيما وتسارعت أنفاسها، ركضت إلى مكتبة البيت العلوية حيث ترك لها المحامي بعض الأوراق القديمة المتعلقة بالعقار من بينها كانت هناك وثيقة تذكر حريق كبير شب في الحي في الثمانينات وأودى بحياة عائلة كاملة

لم تكن خدعة هذا ليس ممكناً.

جلست سيما على الأرض الترابية للقبو مرتجفةً

كتبت على ورقة بيد مرتعشة:

"كريم لقد متت في ذلك الحريق لكن عائلتك نجوا وانتشروا في أنحاء البلاد وعاشوا حياة طويلة وسعيدة

كانت كذبة بيضاء محاولة يائسة لمنح هذه الروح المضطربة بعض السلام"

مر يومان دون أي استجابة من كريم

ظنت سيما أن كريم قد وجد راحته أخيراً

لكن لي اليوم الثالث وجدت أخر رسالة كان الخط هادئ وحزين:

"أشكركِ على لطفك لكنني اعرف الحقيقة أتذكر كل شيء الآن

لم ينجُ أحد لقد كان مصيرنا جميعاً الموت شكراً لأنك استمعتِ لي

لقد منحتِني هدية الوداع الذي حُرمت منه

الظلام لم يعد مخيف بعد الآن إنه وقت الذهاب"

منذ ذلك اليوم توقف الرسائل،

حاولت سيما الكتابة مرة أخرى لكن لم يرد أحد الشعور بالثقة والبرودة الذي كان يلف البيت قد اختفى وحل محله سلام غريب.

لم تغادر سيما البيت بدأت تكتب قصة كريم، القصة التي منحتها إياها الأوراق من تحت الارض

أصبح القبو مكانها المفضل للكتابة

حيث تشعر أحيانا وكأنه همسة من امتنان خفي تملأ الهواء الرطب

تذكيرا بأن بعض الجدران بين العالمين رقيقة بما يكفي لتمرير رسالة أمل.

خاتمة:

حين نغلق هذا الكتاب، لا نغلق معه حكايات منسية، بل نفتح أعيننا على واقعٍ أقرب مما نظن. المرض النفسي ليس نهاية، بل بداية لفهمٍ أعمق للذات والآخر. هؤلاء الذين دخلوا المشفى لم يكونوا غرباء، بل كانوا أصدقاء الحياة الذين أرهقتهم الأيام.

الفهرس

مقدمة ٣

الأربعاء الأول من أيلول..... ٤

حين تتكلم الأرواح ١٣

انفصام ١٨

ذو الشعر الذهبي المخوتم ٢٥

مريضة الغرفة ١٢ ..... ٣٥

سارق اللحظة ٤٨

بين العناء والفناء ٥٢

التاريخ يعيد نفسه ٥٨

النهاية ٦٥

الستار الزجاجي ٨٨

البيت المتحرك ١٠٥

البيت المتحدّث ١١٤

خاتمة ١٢١

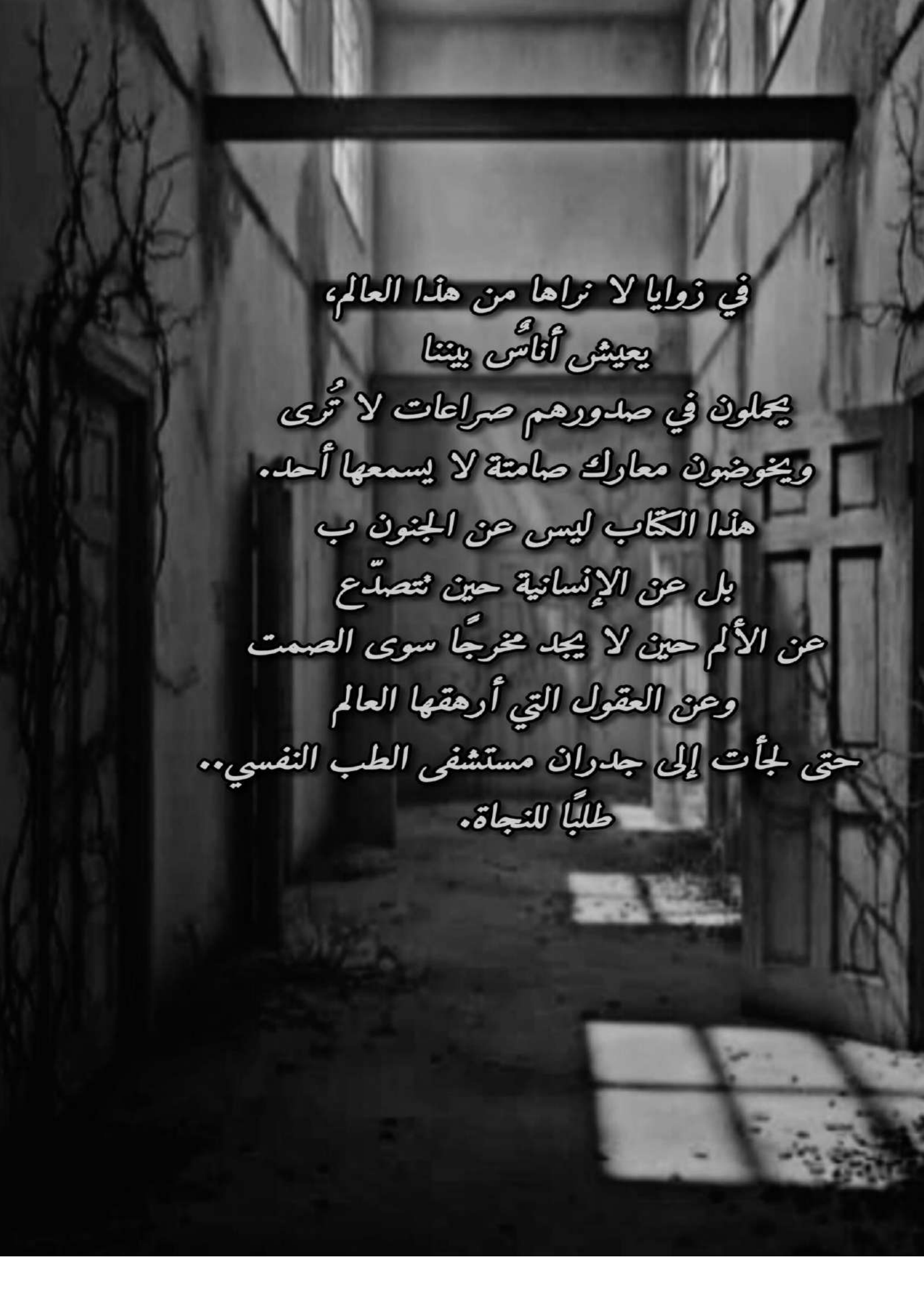
في زوايا لا نراها من هذا العالم،
يعيش أناسٌ بيننا
يحملون في صدورهم صراعات لا تُرى
ويخوضون معارك صامتة لا يسمعها أحد.
هذا الكتاب ليس عن الجنون ب
بل عن الإنسانية حين تتصدّع
عن الألم حين لا يجد مخرجًا سوى الصمت
وعن العقول التي أرهقها العالم
حتى لجأت إلى جدران مستشفى الطب النفسي..
طلبًا للنجاة.